

مصطفى محمود
أناشيد
الإثم والبراءة
دار العودة - بيروت

أناشيد الإثم والبراءة

مصطفى محمود

أناشيد الإثم والبراءة

دار العودة - بيروت

الطبعة الأولى

١٩٨١/١/١

دار العودة ـ بيروت

كورنيش المزرعة

بناية الريفيرا سنتر

هاتف: ٣١٨١٦٥ ـ ٣١٠٨٤٠

تلكس LE Awda ٢٣٦٨٢

تصميم ورسم:

جودة خليفة

الحب ما هو ؟

الحب ماهو ؟

لو سألني أحدكم.. ما هي علامات الحب وما شواهده لقلت بلا تردد أن يكون القرب من المحبوبة أشبه بالجلوس في التكييف في يوم شديد الحرارة وأشبه باستشعار الدفء في يوم بارد.. لقلت هي الألفة ورفع الكلفة وأن تجد نفسك في غير حاجة الى الكذب.. وأن يرتفع الحرج بينكما فترى نفسك تتصرف على طبيعتك دون أن تحاول أن تكون شيئا آخر لتعجبها.. وأن تصمتا أنتما الاثنان فيحلو الصمت وأن يتكلم أحدكما فيحلو الاصغاء.. وأن تكون الحياة معا هي مطلب كل منكما قبل النوم معا.. وأن لا يطفىء الفراش هذه الأشواق ولا يورث الملل ولا الضجر وانما يورث الراحة والمودة والصداقة.. وأن تخلو العلاقة من التشنج والعصبية والعناد والكبرياء الفارغ والغيرة السخيفة والشك الأحمق والرغبة في التسلط فكل هذه الأشياء من علامات الانانية وحب النفس وليست من علامات حب الآخر.. وأن تكون السكينة والامان والطمأنينة هي الحالة النفسية كلما التقيتما.

والا يطول بينكما العتاب ولا يجد احدكما حاجة الى اعتذار الآخر عند الخطأ وانما تكون السماحة والعفو وحسن الفهم هي القاعدة.. وأن لا تشبع أيكما قبلة أو عناق أو أي مزاولة جنسية ولا تعود لكما راحة الا في الحياة معا والمسيرة معا وكفاح العمر معا.

ذلك هو الحب حقا

ولو سألتم.. أهو موجود ذلك الحب.. وكيف نعثر عليه؟ لقلت نعم موجود ولكن نادر.. وهو ثمرة توفيق إلهي وليس ثمرة اجتهاد شخصي

وهو نتيجة انسجام طبائع يكمل بعضها البعض الآخر ونفوس متآلفة متراحمة بالفطرة.

وشرط حدوثه أن تكون النفوس خيرة أصلا جميلة أصلا.

والجمال النفسي والخير هو المشكاة التي يخرج منها هذا الحب.

واذا لم تكن النفوس خيره فانها لا تستطيع أن تعطي فهي أصلا فقيرة مظلمة ليس عندها ما تعطيه

ولا يجتمع الحب والجريمه أبدا الا في الأفلام العربية السخيفة المفتعله.. وما يسمونه الحب في تلك الأفلام هو في حقيقته شهوات وغرائز ورغبات حيوانية ونفوس مجرمة تتستر بالحب لتصل الى أغراضها.

أما الحب فهو قرين السلام والأمان والسكينة وهو ريح من الجنة أما الذي نراه في الأفلام فهو نفث الجحيم.

واذا لم يكن هذا الحب قد صادفكم واذا لم يصادفكم منه شيء في حياتكم فالسبب انكم لستم خيرين أصلا فالطيور على أشكالها تقع والمجرم يتداعى حوله المجرمون والخير الفاضل يقع على شاكلته.. وعدل الله لا يتخلف فلا تلوموا النصيب والقدر والحظ وانما لوموا أنفسكم.

وقد يمتحن الله الرجال الأبرار بالنساء الشريرات أو العكس وذلك باب آخر له حكمته وأسراره

وقد سلط الله المجرمين والقتلة على أنبيائه وامتحن بالمرض أيوب وبالفتنة يوسف وبالفراعين الغلاظ موسى وبالزوجات الخائنات نوحا ولوطا.

وأسرار الفشل والتوفيق عند الله.. وليس كل فشل نقمة من الله وقد قطع الملك هيرودوس رأس النبي يوحنا المعمدان وقدمها مهرا لبغي عاهرة.

ولم يكن هذا انتقاصا من قدر يوحنا عند الله.. وانما هو البلاء.

فنرجو أن يكون فشلنا وفشلكم هو فشل كريم من هذا النوع من البلاء الذي يمتحن النفوس ويفجر فيها الخير والحكمة والنور وليس فشل النفوس المظلمة التي لا حظ لها ولا قدرة على حب أو عطاء.

ونفوسنا قد تخفي أشياء تغيب عنا نحن أصحابها. وقد لا تنسجم امرأة ورجل لأن نفسيهما مثل الماء والزيت متنافرتان بالطبيعة ولو كانا مثل الماء والسكر لذابا وامتزجا ولو كانا مثل العطر والزيت لذابا وامتزجا.. والمشكلة أن يصادف الرجل

المناسب المرأة المناسبة.

وذلك هو الحب في كلمة واحدة. التناسب. تناسب النفوس والطبائع قبل تناسب الاجسام والاعمار والثقافات.

وقد يطغى عامل الخير حتى على عامل التناسب فنرى محمدا عليه الصلاة والسلام يتزوج بمن تكبره بخمسة وعشرين عاما ويتزوج بمن تصغره بأربعين عاما فتحبه الاثنتان خديجة وعائشة كل الحب ولا تناسب في العمر ولا في الثقافة بينهما فهو النبي الذي يوحى اليه وهما من عامة الناس

ونراه يتزوج باليهودية صفية صبيحة اليوم الذي قتل فيه جيشه زوجها واباها وأخاها وشباب قومها وزهرة رجالهم واحدا واحدا على النطع في خيبر.. يتزوجها بعد هذه المذبحة فنراها تأوى الى بيته وتسلم له قلبها مشغوفة مؤمنة محبة ولم تكد دماء قومها تجف.. فكيف حدث هذا ولا تناسب وانما أحقاد وأضغان وثارات..

انه الخير والخلق الاسمى في نفس الرسول الكريم هو الذي قهر الظلمة وهو الذي حقق المعجزة دون شروط..

إنه النور الذي خرج من مشكاة هذا القلب المعجز فصنع السحر وأسر القلوب وطوع النفوس حتى مع الفوارق الظاهرة وعدم التناسب ومع الاضغان والأحقاد والثارات..

انما نتكلم نحن العاديون عن التناسب..

أما في مستوى الأنبياء فذلك مستوى الخوارق والمعجزات..

وما زالت القلوب الخيره والنفوس الكاملة التي لها حظ من هذا المستوى قادرة على بلوغ الحب وتحقيق الانسجام في بيوتها رغم الفروق الظاهرة في السن والثقافة..

ذلك أن الحب الذي هو تناسب وانسجام بالنسبة لنا نحن العاديين.. هو في المستوى الأعلى من البشر نفحة وهبة الهية..

ومن ذا الذي يستطيع أن يقيد على الله نفحاته أو يشترط عليه في هباته..

واذا شاء الله أن يرحم أحدا فمن ذا الذي يستطيع أن يمنع رحمته..

والحب سر من أعمق اسرار رحمته..

ولا ينتهي في الحب كلام..



أناشيد الإثم والبراءة

أناشيد الإثم والبراءة

الحب

ملفوف أنا بين ذراعيك يا حبيبتي
ذراعاك مسكني وغرفتي
وصدرك أرجوحتي
وخداك وسادتي وبردتي
وعيناك اغفاءتي وراحتي
وكفاك ظلتي وواحتي
يا ضحكتي ودمعتي
ودميتي ولعبتي
يا وطني يا أمي يا طفلتي
يا وصلة السر بالسر عند باب الموت والميلاد
والمخاض والضنى

صدرك الرحمة والحنان
ويداك الشفاء والغذاء والموده
ونفسك السماوات الجميله

لا تغيب عنها الشمس
ولا تظلم الليل ولا النهار
ولا تغيم في الليالي الشاتية
تجولت في العالم وعدت وأنا ما زلت بين شفتيك
وصعدت الى السماوات وجاوزت الثريا وأنا
ما زلت أتطلع الى عينيك

في حضورك تكلم الصمت
وبين يديك توقف الزمن
وأصبح الماضي والحاضر والمستقبل هو الآن
وهرولت ساعات الآن ثم ذابت. كأنها لحظة
وخيل الينا من شفافية كلماتنا أننا هواء
وخيل اليّ أني لا أمسك شيئاً
وأننا تحولنا الى كلمه
ثم تجردت الكلمه فاصبحت معنى
ثم انتشر المعنى كالعطر وتخلل كل شيء
ذلك هو وجودنا معا يا حبيبتي
يجعل كل شيء ينطق
يجعل كل شيء ملكا خاصا لنا
ويجعل من العالم شقتنا الخاصه
وكأنما ولدنا لتونا اليوم
وفتحنا أعيننا على عالم جديد في كوكب آخر
ومنحنا حياة جديدة نعيشها جديدة كل الجده

حبيبتي ماذا شربنا..؟!
وماذا سكبتِ لي في الكأس
لا شيء سوى قطرات من نور عينيك وذوب قلبك
الّهي.. أيها القادر على كل شيء
كيف يشرب الناس الخمر. وفي قلوبهم كل هذا الرحيق

المعذرة

حبيبتي..
برئت من يدي
وبرئت من عيني
وبرئت من فعلي
وبرئت من جلدي
ان كانت النوايا آثمة
واخوفي من علم ربي بالسرائر!!
ويلنا ظلمنا نفسنا
هلكنا من اليوم لا نجاه
ان لم نفز بمغفره
يا ضيعة العمر ان لم نفز بمغفره
بل لا ييأس من روح الله الا الكفره
ظلمت ربي الغفار الذي وسع كل شيء رحمة وعلما
والذي خلق الضعف
كيف لا يحنو عليه أكثر من حنو الام بالوليد

كيف لا يشفيه من نفسه ويرحمه

الإبتهال

آلهي.. يا منبع جميع الأنوار
ترى من نحب حينما ننظر الى بعضنا البعض..؟!
وهل نحب الا نورك أنت وأثر يديك على الصلصال
وهل يسكرنا اذا سكرنا الا نفخة روحك التي نفختها فينا.

وهل نطالع في كل جميل الا وجهك.
وهل كل يد شافية وكل قبلة رحيمة الا ترجمان رحمتك
فكيف يا آلهي تضل بنا الأودية وتتفرق السكك ونخرج من اسمك الى أسمائنا فنسجن أنفسنا في هذا الصدر أو نتوه في ذلك العنق أو نهاجر في تلكما العينين وتتسكع أيدينا على نحاس الأضرحة فنلثم الشفاه ويخيل الينا أننا نذوق خمرك وما نذوق الا زجاج الكئوس التي أودعت فيها ذلك الرحيق الخفي الذي هو سر أسرارك.

ويخيل الينا أننا بلغنا المنتهى وما بلغنا الا لمس الغلاف وتحسس المحارة أما اللؤلؤ داخل المحارة.. والنور المغيب في شغاف القلوب والسر المودع في العيون فليس لنا منه الا حظ القرب والمطالعة والاستشراف من بعد حيث لا وصال ولا اتصال ولا انفصال ولا نوال.. وانما في الذروة من الاحساس.. يأتي ذلك الاغماء.. وتلك الغيبوبة الصاحية.. وتلك النشوة الغامرة.. حينما نوشك أن نكون قاب قوسين أو

أدنى من لقاء السر بالسر.

ولا سر الا سرك وان تعددت الأسماء وتنوعت المفاتن واختلفت الوجوه.

انما هو أنت وحدك المحبوب أينما توجه قلب محب.. وأنت وحدك المعبود أينما توجهت نظرات عابد.

وأنت وحدك الرزاق وأن تعددت الأيدي التي تعطى.

انما تستمد جميع المصابيح من نورك.

كل مصباح يأخذ منك على حسب استعداده ويعطى من نورك على حسب شفافيته.

ولكن العطاء في الأصل منك والجمال منك والنور منك.

سبحانك لا شريك لك.

سبحانك والحمد لك.

سبحانك والحب لك.

سبحانك ما لثمت الا أياديك وما قبلت الا وجهك.. وما سبحت الا لنور عينيك وان نطقت في كل مرة اسما غير اسمك فانما هو ضلال اللسان في القراءة وضلال العين في الرموز وقراءة الشيطان للشفرة الخطأ.. وانما هو التخبط في الحجب ولثم الأضرحة وتقبيل النحاس.. وغفلة الطبع عن الحقيقة.

يا رب.. سألتك باسمك الرحمن الرحيم ان تنقذني من عيني فلا تريني الاشياء الا بعينك أنت وتنقذني من يدي فلا تأخذني بيدي بل بيدك أنت تجمعني بها على من أحب عند موقع رضاك.. فهناك الحب الحق.. وهناك أستطيع أن أقول.. لقد اخترت..

لأنك أنت الذي اخترت.. وأنت الوحيد الذي توثق جميع الاختيارات وتبارك كل الحريات.. أنت الحرية ومنك الحرية وبك الحرية وأنت الحب ومنك الحب وبك الحب.

أنت الحق والحقيقة.

وما عدا ذلك أضرحة ونحاس وخشب وصلصال وحجارة وأهداب وعيون ومحاجز وأوثان تسجد لأوثان.

لا تدعني يا الّهي في الظلمة ألثم الحجارة وأعانق الصلصال وأعبد الوثن.

بشفة الشيطان لثمت هذه الأشياء وظننت أنها شفتي وبذراعي الشيطان عانقت وظننت أنها ذراعاي.

استحلفتك بضعفي وقوتك

وأقسمت عليك بعجزي واقتدارك

الا جعلت لي مخرجا من ظلمتي الى نوري ومن نوري الى نورك

سبحانك... لا اله الا أنت

لا آله الا الله



بدون خيانة من أحد

بدون خيانة من أحد

تسألني .. ما الذي أحببته فيك.

سوف تعجب اذا قلت لك انها تجاعيد جبينك والخطوط الغائرة في خديك وذلك الحزن القديم في صوتك والارهاق المستمر في عينيك وتلك الخطى المكدودة والكلام القليل والشرود والصمت الحائر وكأنك تحاول أن تمسك بحبال اللا شيء.

انه الضنى ..

ضنى المشوار الطويل الذي مشيته.

الضنى مجسدا في ملامح وصوت وانسان وقد احببت فيك هذا الضنى الناطق المعبر

أنه الانسانية كلها في رجل.

وحينما اعطيتك يدي لتحتويها يدك واعطيتك أسراري لتفترشها أسرارك.. أدخلتك من لحظتها في سواد العين وأسكنتك المهجة واصبحت اتنفسك مع كل شهيق وزفير وأعيشك مع الفطور وفنجان الشاي وجرائد الصباح وتليفونات الاقارب وصوت المترو وضجيج الميناء.

أنها أيام نادرة.. ذلك اللقاء العابر في نابولي.

بل هي حالة خاصة جدا ونادرة ان يلتقي اثنان كل منهما تجرد من ظروفه وطرح خلفه كل شيء من ماض وهموم وارتباطات ومشاكل ليعطى نفسه خالصة مجردة نقية للآخر.

انها لحظات أشبه بماء أعيد تقطيره من شوائبه واعيد ترشيحه من رواسبه عدة مرات حتى أصبح شفافا رائقا مقطرا نقيا مثل النور المذاب.

وكذلك كانت نشواتنا في تلك الايام.

كانت مستخلصة نقية رائعة صافية مثل أشعة الفجر.. وكان طعمها وكأنها من كوكب آخر.. وكأنها من الجنة.

تلك حالة لم أعشها طوال حياتي من قبل.. ولم أعرفها.

ولا أظن أني سوف أعيشها بعد ذلك أو أعرفها أبدا.

انت تقول.. كنا نحلم.

وأنا أقول.. بل كل لحظة كانت واقعية.. وكل دقيقة كانت حقيقة.. واكاد أشم عطرك في مناديلي واكاد اشعر بعرق يديك في كفي بل كل حياتي قبلها كانت هي الحلم.

وكل حياتك قبلها كانت خيالا.

وكل الدنيا قبلها كانت وهما.

كنت عمياء طول الوقت حتى ابصرتك وكنت وحيدة حتى صاحبتك وكنت لا آكل ولا اشرب حتى آكلت معك وشربت معك.. وكنت لا اضحك ولا ابكي حتى ضحكت معك وبكيت معك.

لم نكن نحلم اذن ولم يكن ما نعيشه حلما بل كان صحوة.

ولكنها كانت مجرد فترة.

كانت مجرد صفحات من كتاب العمر ما لبثت ان طوتها يد الاجل التي لا تكف عن الجريان.

وحينما التقينا بعد ذلك في القاهرة قلت لي ساعتها.. انك صدمت.

قلت لي انك تصافح امرأة أخرى.. امرأة تكاد لا تعرفها.. وتكاد لا تعرفك.

واتهمتني ساعتها بخيانتك.. وبأن هناك رجلا آخر.. ورميتني بالغدر.. والتلون.

وصدقني لقد رأيت أنا أيضا فيك رجلا آخر.. لا يكاد.. يعرفني.. ولا أكاد أعرفه.

ولكن لم يكن في الأمر خيانة.

وانما كل ما حدث ان كلا منا عاد الى جلده والتقى بالآخر مرتديا مناخ ظروفه الكامل مخنوقا بمشاكله.

شاركتنا جلستنا على النيل قضية طلاقي من زوجي ومستقبل أولادي ورجل آخر كان يريد ان يتزوجني ونفقات علاج أمي المريضة بالخارج كما شاركنا الجرسون يناديك كل دقيقة لترد على تليفون وتحيات معجبات على الموائد الاخرى عرفن فيك الموسيقار المشهور ثم دخول واحدة بعد الاخرى على خلوتنا لتوقع لها في الاوتوجراف... ثم مرور أولادك ليشاركونا الشاي.. ثم حكاية

زوجتك الاولى ومضايقاتها.. ثم حكاية الفيلم.. ثم.. ثم..
ويومها اختلف كل شيء.

فقدت اطمئناني كما فقدت انت اطمئنانك.

شعرت لأول مرة بأنك لست ملكي وانما لي فيك شركاء عديدون يشاركوننا الجلسة والحديث ثم باقي الليلة وباقي العمر سوف يشاركوننا الطعام والفراش والحياة.

كما شعرت انت ايضا بنفس الشيء.

لم تجد تلك المرأة الخالصة التي رأيتها في نابولي.. وانما رأيت زحاما من الناس والمشاكل.

وانكرتني..
وانكّرت نفسك.

وافتقدت ذلك الاحساس النادر بالخلوص والتجرد والنقاء.. كما افتقدته أنا أيضًا.

وافترقنا بوجوه فاترة،

وطالت الفرقة.

وأصبحت مكالماتنا على فترات ابعد وأبعد.
وكنت احس بنبرة الشك في صوتك.
ولكن صدقني يا مراد.
أنا لم اخنك مع أحد.
ولم أفكر في خيانتك.

وانما الخائن الحقيقي والشريك الذي شاركنا هو الحياة ذاتها

بضغوطها وشواغلها وتنوعها وتلونها وحضورها وتكاليفها التي أبهظتنا وخنقت الروح في داخلنا.

تلك اللحظة المستخلصة المرشحة المقطرة من ذوب نفسي ومن ذوب نفسك لم يعد هناك سبيل الى استعادتها.

لقد حدث هذا في لقاء نادر عابر ذات امسيات شاعرية في نابولي.

ولم يعد في الامكان ان تعود هذه الامسيات ابدا وهذا طبع الدنيا.

ان الخيانة كانت في الدنيا نفسها ولم تكن فينا.

والحكاية اننا سقطنا من كوكب الجنة الى الارض فجأة ولم نعد نقبل تلوث الهواء وتضاغط الزحام وتدافع المناكب وتلاحم الأحقاد والأضغان في نسيج لقمة العيش المريرة.

كيف نشرب الماء مالحا بعد أن ذقناه عذبا فراتا.

كيف نعيش التلوث بعد ان عشنا النقاء

كيف نزحف على بطوننا في أوحال المشاكل بعد ان كنا نحلق باجنحتنا في فضاء فسيح كله ملكنا.

كيف اشعر براحة وانا احس بكل شيء حولي يسرقك ويأخذك ويشاركني فيك.

كيف احبك في اطمئنان وكل هذه الضوضاء حولك واضواء الكاميرات حولك وعيون حسناوات عديدات تلمع حولك في كل صورة.. وكل واحدة تهددني في مستقبلي.

وانت.

ماذا كان شعورك وانت تقرأ خطابات ذلك المجهول الذي يغازلني.. وماذا قال لك خيالك وانت تستمع الى أولادي يحكون عن ابيهم وكيف كان يحبني وكيف كنت احبه.. ثم ذلك الرجل الذي ينتظرني منذ عشرين عاما ويحبني في صمت ورهبانية وفداء وينتظر اليوم الذي اكون فيه له.

هل يمكن ان تأخذني بكل هؤلاء الشركاء وبكل هذه المنغصات التي سوف تسرقني منك حتى وأنا بين ذراعيك.

هل يمكن ان ترضى بالشرود والغياب في عيني وانت تقبلني.

وهل يمكن أن اقبل اعجاب امرأة أخرى وانا انظر اليك ام ان كلا منا سوف يرفض هذا الواقع ويعطي ظهره لصاحبه ويعود ليحلم بلقاء آخر في نابولي.

يعود ليحلم بتلك النشوة الخالصة المستقطرة من النور المذاب.

هل يمكن ان ننزل من سماواتنا لنعيش حياة الأرض معا.. وهل نصلح لحياة الارض.

وهل نرضي حياة زوجية مكرورة باهتة.

الا ننكر فيها ما انكرناه في بعضنا اليوم ثم نعود فنغامر ونحاول ان نلمس سماء الجنة ولو أضعنا كل شيء ولو حطمنا بعضنا بعضا.

لا أدري كيف اجيب.

ونفسي تراوغني كلما حاولت ان افهمها.

فهل تدرى انت.

صدقني أنا لا أعرف ماذا أريد بالضبط.

ولا من أنا.

وكل ما اعلمه بيقين اني عشت ذات يوم بملء الحياة وبملء النفس حينما كنت لي المهجة والفؤاد وسواد العين وكل شيء.،

وانها كانت لحظة عرفناها اختلاسا.

وانها مرت ولا سبيل الى عودتها ابدا.

ومأساة الزمن...أنه لا توجد لحظة فيه تتكرر مرتين.. وانما هو نهر دائم الجريان يتغير فيه الماء باستمرار وبلا توقف.

شيء واحد يمكن ان يردني اليك هو احساسي الدائم بأنه لا يوجد في الكون نفسان تتبادلان معا أخذاً وعطاء وبكل العمق مثل نفسي ونفسك.

وأحيانا أقول لنفسي.. حتى اذا لم يبق لي الا الحزن.. فلا اجمل من اتبادله معك.. حتى الملل واليأس فلن يكونا كاعمق ما يكونان الا معك..

والفشل هو أروع ما يكون معك.

والبؤس لن يكون هو البؤس العظيم الا معك شيء مضحك.

كم أود ان انتقم منك.. يا حياتي.. وانتحاري.

ان الحقائق في ذروة تناقضها تبدو دائما مضحكة.

هكذا اشعر وانت ابعد ما تكون عني انك اقرب ما تكون الى.. وانك في دمي ونخاعي.. وفي انكاري واستنكاري ورفضي

حينما انكرك واستنكرك وارفضك.

هل أكرهك بمثل ما احبك.

هل أصبحت كل عواطفي بسالبها وموجبها وقفا عليك.

الويل للمرأة حينما تتسمم أعمق آبارها برائحة رجل.

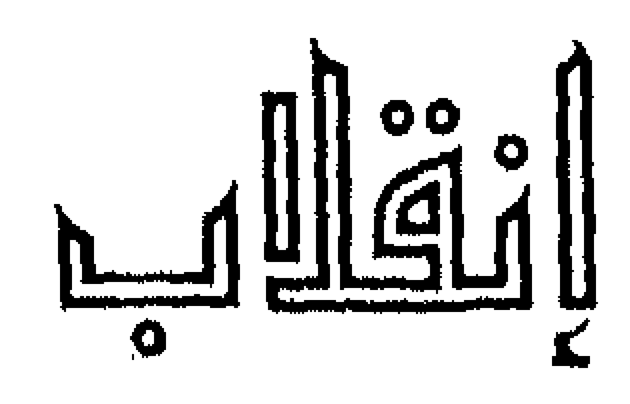
الويل لك منك.

والويل لي مني.

والويل لكل امرأة تنسى نفسها وتسرق منها الروح في اغماضه عين.

والويل لنا من أنفسنا الانانية حينما تطلب كل شيء ولا يرضيها أي شيء ولا يشبعها أي شيء.. حينما تصبح نفس كل منا هي جحيمه الأبدي الذي لا خلاص منه ولو بالموت.




إنقلاب

إنقلاب

كتبت الى تقول:

أنا زوجة لي عشر سنوات خدمة في بيت الزوجية وأم لولدين طلقت أثناءها ثم عدت لأستأنف حياة فاترة بلا طعم لا حب فيها ولا كراهية ولا حماسا لشيء.

ضاعت الطرافة والبهجة والنشوة التي عرفتها في سنوات الزواج الأولى حينما كنت أعطي بسخاء من روحي وعقلي وجسمي حيث بدأ زواجنا بحب واقتناع رغم فارق السن الكبير.

ولكن الطرافة سرعان ما انتهت وبدأت بيني وبين زوجي فجوة ظلت تتسع وتتسع حتى أصبحت حياتنا مجرد جوار ومساكنة لأثنين غريبين يتكلمان لغات مختلفة في بيت واحد.. هو لياليه مقسمة بين شارع الهرم وبين سهرات الأصدقاء وصفقات العمل والعلاقات النسائية الخاصة.. وأنا أيامي أعيشها في الغيظ والكبت والقهر.. ثم أتمرد على نفسي بين حين وآخر فأرد على خياناته بخيانات مثلها تبدأ لتنتهي بسرعة وتخلف في داخلي حالة من

التشتت والضياع والخواء وعدم الرضى والاحباط التام.

وهكذا كانت حياتنا في السنوات الأخيرة التي حدث فيها الطلاق ثم العودة.

ولا شك أنك تسأل الآن.. ولماذا عدت اليه بعد الطلاق؟ وعندك حق

وأنا أيضا ما زلت أسأل نفسي.. لقد قلت لنفسي حينذاك.. أعود من أجل الاولاد.. وقلت لنفسي هو أبوهم وهو أفضل من الغريب.. وقلت لنفسي هو أقدر على توفير الحياة المادية المريحة والنفقات الباذخة التي تعودناها فهو غني. لكن ربما كان السبب الاهم هو ذلك الرباط الخفي الذي يربطنا.. فانه بما أعطاني وسلبني وبما دمر في نفسيتي من أخلاقيات ومثل.. أصبحت أشعر بعدها أني من صنعه وأني أدين له بالقلق وبالتوتر والخراب والشتات الذي أصبح الآن هو الحالة السائدة لنفسيتي.

كلانا أصبح مثل المأكولات المعلبة التي فسدت وكتب عليها غير صالح للاستعمال..

ورغم أنه لم يبق في قلبي شيء من الغرام القديم..

ورغم أني أصبحت لا أحبه ولا أكرهه..

الا انه بما أتلف وأفسد ودمر في نفسيتي وعاداتي وسلوكياتي أصبح في النهاية هو حياتي أصبح هو طبعي الخوان الغادر..

وهو عيني المتلفتة وراء الرجال وهو جرأتي التي أفعل بها ما أشاء..

فأنا أولى الناس به

وهو أولى الناس بي

وهكذا عدت اليه بحكم التشاكل والمجانسة لأستأنف حياة أكثر فشلا وأكثر احباطا وأكثر تورطا.

ما أكثر ما تعكر الماء في داخلي.

وما أكثر ما أظلمت سماواتي الجميلة الباطنية وأطبقت عليها السحب السود.

حتى قابلته

ذلك الرجل الناضج الانسان الرقيق العطوف الحنون الذي طالما كنت أحلم به

وتعلقت به تعلق الظمآن بالماء.. وتعلق هو بي وأمسك كل منا بالاخر وتعلق بتلابيبه

وتشبث كفي بكفه كانه طوق نجاة.

ومضت أيام كالحلم.

ومسحت يده على باطني فاضاءت سماواتي وشعرت أني أعود الى بكارتي ونشواتي الاولى وأعود الى تفتحي ونضارتي وتألقي وتوهجي وعطائي السخى بلا حدود ولكنها كانت مجرد أيام..

مجرد لحظات تحصى على أصابع يد واحدة ثم ما لبثت ان عادت السحب السود فأطبقت على داخلي وتعكرت مياهي حتى ظهر الخواء والشرود في نظراتي فكان يقول لي دائما.. أين أنت.. أنت لست معي..

نعم.. عدت عجوزا دفعة واحدة..
وعاودتني الغربة والاحساس بالشتات.. والعجز عن العطاء..
وأظلمت سماواتي... وكفت يدي عن ان تنبض في يده..
وأصبحت أشبه بورقة غياب.

انه يحبني بكليته ويريد الزواج لي ويعرض على نفسه وروحه وما يملك وأنا أشعر اني متقلبة ملولة لا يستقر بعواطفي قرار..
وكل ما أحصل عليه أزهد فيه..
وأنا أسأل نفسي
هل أستطيع أن أبدأ حياة جديدة

هل أستطيع أن أقوم بعملية بتر كامل أقطع فيها صلتي بالماضي بما فيه من خراب وتلف وأعوجاج.

هل يمكن ان اكون خالصة له

الن يدخل زوجي الاول بما أحدثه من اتلاف ودمار شريكا خفيا في هذه الزيجة.. وكذلك أولادي.. وكذلك أولاده هو فهو أيضا زوج سابق وله أولاد..

وهل يبقى له ولي شيء بعد هذا الزحام

انه مأخوذ بما أعطيت من حب وفناء ذات لحظة ذات مساء شاعري.

ولكن هل يدوم لي هذا الصفاء وهل تدوم لي هذه القدرة على العطاء.

انها لم تدم بالفعل..

ولقد رأى سماواتي تظلم ونظراتي تشرد ويدي تنسحب من يده..

ولقد افتقدني وأنا معه ولقد رأيته يتألم لهذا الافتقاد ثم يعود فيقول

سوف أحبك في كل حالاتك..

ترى هل يصدق

ومن يدريه بأن تلك الحالة ربما سادت وامتدت واصبحت هي كل حالاتي.. وأصبحت لحظات الصفاء في ندرة شمس الشتاء في القطبين

فهل يرضى بي زوجة شاردة غائبة مشتتة

وهل انتهى زوجي من حياتي بالفعل وخرج منها بلا عودة أم انه ما زال كل حياتي يربطنا نحن الاثنين دينونة واحدة وخراب تأصل حتى احتوانا.. رغم أني لا أحبه ولا أكرهه.

أحيانا يخيل الى أن بناء حياة جديدة بالنسبة لي أشبه بدولة صغيرة ربطت عملتها واقتصادها ومبادلاتها التجارية بدولة كبرى طاغية.. ثم هي تفكر بعد فوات الاوان في قطع العلاقات وتغيير العملة وفسخ التعاملات لتبدأ علاقة جديدة بدولة جديدة.

وأحيانا أشعر أن حجم التبادلات مع هذا الرجل الذي أصبحت لا أحبه ولا أكرهه.. هو حجم يكاد يكون هائلا حتى ليكاد يكون بخيره وشره هو حياتي.. ويكاد يكون الخروج من فلكه كالسقوط في فراغ.

نعم.. هل أقول أنه بما أفسد ودمر.. له أثر في نفسيتي وفي

حياتي أكبر من أثر هذا الرجل الجديد .. وان كان أثرا سيئا هداما انه حضور .. ولو كان حضورا بالسلب والاضرار والتخريب.

ولكنه حضور

وأنا لن أكون خالصة أبدا.

وسوف أجرجر خلفي العديد من الأشباح

وسوف يشاركنا الفراش خلق كثير

فهل يرضي بذلك الزوج الجديد.

وهل يحبني بهذا الحال.

وهل أرضى أنا

ألا أعود فاتلفت في وجوه الرجال بحثا عن لحظة هروب واسترخـاء ونسيـان الا أعود فالتمس أي مهرب من التوتر والاحباط في علاقات جديدة وخيانات جديدة..

الا أعود فتجرني قدماي الى الزوج الاول بحكم الاولاد والمشاكلة في المصير وحجم التبادلات التي قد ترجح في النهاية ما بادلته أي رجل من خير وشر.

وأي رجعة فاشلة تكون

الى أين أسير

وأين تسوقني قدماي.

لا أريد أن أسير وراء الهوى بل وراء العقل ولا أريد أن أكرر الفشل.. ثم أعود فاعالج الفشل بفشل أكبر.

ولا أريد أن أظلم نفسي وأظلم من أحبني معي.

ولا أريد أن استرسل في أحلام بلا أمل في استقرار.

أريد بر أمان.

أريد راحة.

بماذا تنصحني

قرأت الرسالة ولبثت في حيرة.

وطال بي التفكير

أن هذه الزوجة بما وصفت به نفسها هي أبعد ما تكون عن الامان وبر الامان.. وهي في خطر من نفسها أكثر مما هي في خطر من أي مخلوق

ولا نجاة لها الا بانقلاب داخلي يبدلها من الاعماق ومعاناة تحرق حطبها وتذري رمادها وتجلو معدنها من جديد.

لا بد لها أن تعبر الجحيم أولا لتصل الى بر أي بر..

لا بد لها أن تكتوى حتى نخاع العظم وتبكي حتى تبيض العينان وتسجد حتى تذوب وتبتهل حتى تفنى وتعطى نفسها لهدف كبير تضمحل معه الاهداف الصغيرة وتشغل عقلها برسالة شريفة تستغرقها وتستغرق همومها الشخصية..

فان كان رجلها الجديد سيأخذ بيدها الى هذه النقلة ويكون عونا لها في هذا الانقلاب الداخلي وهذا التطهر الكامل فهو نجاتها.

أما ان كان الامر في نظرها هو مجرد انتقال من رجل الى رجل ومن ذراعين الى ذراعين.. فلن يكون انتقالا ذا جدوى.. لانها سوف تصحب معها في كل مكان خواءها النفسي وتوترها وقلقها وهمومها الشخصية ولن تصل الى بر أمان وانما ستظل « محلك سر »

تنتقل من خيانة الى خيانة.

ولا نجاة ولا عبور ولا خلاص الا بالخروج من تكوينها النفسي الى تكوين نفسي آخر.. من هموم شخصانيـــة ونفس انفراديـة شخصانية.. الى نفس اجتماعية مشغولة بالمشاركة في أهداف كبرى وحياة خصبة مثمرة مفيدة للناس تذوب فيها الهموم الصغيرة.

فان كان زواجها الجديد سيخرج بها من شخصانيتها الى حياة جديدة مثمرة مفتوحة فلتمض فيه.. والا فلتلزم مكانها مع زوجها في رف المعلبات التي كتب عليها غير صالح للاستهلاك.. فحظها من حياتها لن يزيد عن التقلب من رجل الى رجل ومن ذراعين الى ذراعين في حياة محصولها النهائي صفر.

ان مشكلتها الحقيقية ليست هي تغيير الرجل وانما تغيير النفس.. وليس الحل هو خروجها من بيتها وانما خروجها من نفسها من طبعها وسلوكياتها وعاداتها وأهتماماتها واختياراتها فهل هذا ممكن

انها وحدها التي تستطيع ان تجيب وهو سؤال مرتبط بسؤال آخر أكثر صعوبة

ما هو طبعها بالاصالة.. وما جوهرها

وماذا تريد بنفسها

وماذا يرضيها على وجه الحقيقة

وما تصورها لهدفها الذي خلقت من أجله وما تصورها للدنيا وحكمتها وغايتها

وما الخطأ والصواب في نظرها

وما الحدود التي تتوقف عندها في طلبها للذة.. وهل عندها تلك الحدود أصلا

وماذا تخاف.. وهل تخاف

وما هو الشيء الذي تحسب له ألف حساب في النهاية.. فان كان هذا الشيء هو راحتها ولذتها وأكلها وشربها ولبسها ومظهرها وتأثيرها على الناس.. فانها واقفة عند نفسها لا تبرح.. ولن تجد لمشكلتها حلا

انما يبدأ الحل حينما يتجاوز الانسان نفسه ويعلو عليها باحثا عن الاسمى والارفع

حينذاك يكون هناك أمل.. مهما اختلفت التصورات في هذا الهدف الاسمى الذي نتجاوز أنفسنا طلبا له.

فالفنان يطلب الجمال

والمفكر يطلب الحقيقة

والثائر السياسي يطلب العدالة

والصوفي العارف يطلب الله

وهم قد اختلفوا في الظاهر ولكنهم ما اختلفوا في الحقيقة.. فان الحق العدل البديع الجميل كلها من أسماء الله.

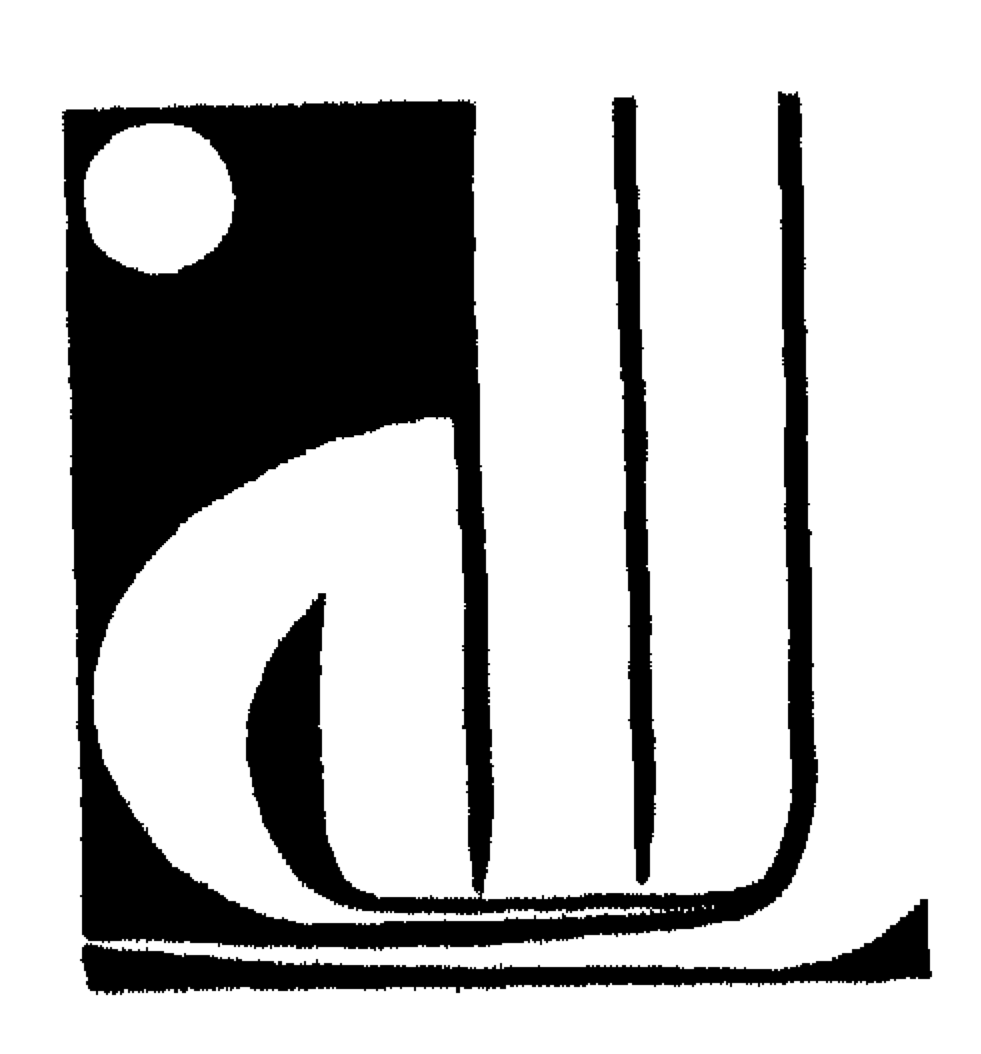
وانما الذي اختلف وتخلف وتوقف وتعثر وهلك هو الذي لم يطلب سوى نفسه ولم يختر سوى نفسه فبدأ من نفسه وانتهى عند نفسه.

ومثله لا يفيق من هذه القوقعة التي أغلقها عليه الا لحظة الموت

حينا يكتشف أنه عبأ الهواء في جوالات وجمع الفراغ في حقائب وأنه لم يجمع شيئا سوى العدم..

وهو اكتشاف اذا تأخر الى لحظة الموت فقد جاء بعد فوات الاوان.

ونصيحتي لها أن تكف عن البحث عن رجل.. وان تبحث في أعماق نفسها أولا وأخيرا..



العذاب ليس له طبقة

العذاب ليس له طبقة

الذي يسكن في أعماق الصحراء يشكو مر الشكوى لأنه لا يجد الماء الصالح للشرب.

وساكن الزمالك الذي يجد الماء والنور والسخان والتكييف والتليفون والتليفزيون لو استمعت اليه لوجدته يشكو مر الشكوى هو الآخر من سوء الهضم والسكر والضغط.

والمليونير ساكن باريس الذي يجد كل ما يحلم به، يشكو الكآبة والخوف من الأماكن المغلقة والوسواس والارق والقلق.

والذي أعطاه الله الصحة والمال والزوجة الجميلة يشك في زوجته الجميلة ولا يعرف طعم الراحة.

والرجل الناجح المشهور النجم الذي حالفه الحظ في كل شيء وانتصر في كل معركة لم يستطع ان ينتصر على ضعفه وخضوعه للمخدر فأدمن الكوكايين وانتهى الى الدمار.

والملك الذي يملك الاقدار والمصائر والرقاب تراه عبدا لشهوته خادما لاطماعه ذليلا لنزواته.

وبطـل المصارعـة أصابـه تضخم في القلب نتيجة تضخم العضلات.

كلنا نخرج من الدنيا بحظوظ متقاربة رغم ما يبدو في الظاهر من بعد الفوارق.

ورغم غنى الاغنياء وفقر الفقراء فمحصولهم النهائي من السعادة والشقاء الدنيوي متقارب.

فالله يأخذ بقدر ما يعطي ويعوض بقدر ما يحرم وييسر بقدر ما يعسر.. ولو دخل كل منا قلب الآخر لأشفق عليه ولرأى عدل الموازين الباطنية برغم اختلال الموازين الظاهرية.. ولما شعر بحسد ولا بحقد ولا بزهو ولا بغرور.

انما هذه القصور والجواهر والحلى واللآلىء مجرد ديكور خارجي من ورق اللعب.. وفي داخل القلوب التي ترقد فيها تسكن الحسرات والآهات الملتاعة.

والحاسدون والحاقدون والمغترون والفرحون مخدوعون في الظواهر غافلون عن الحقائق.

ولو أدرك السارق هذا الادراك لما سرق ولو أدركه القاتل لما تل ولو عرفه الكذاب لما كذب.

ولو علمناه حق العلم لطلبنا الدنيا بعزة الأنفس ولسعينا في ميش بالضمير ولتعاشرنا بالفضيلة فلا غالب في الدنيا ولا مغلوب ي الحقيقـــة والحظوظ كما قلنـــا متقاربـــة في باطن الأمر ومحصولنـــا من الشقـــاء والسعـــادة متقـــارب رغم الفوارق

الظاهرة بين الطبقات.. فالعذاب ليس له طبقة وانما هو قاسم مشترك بين الكل.. يتجرع منه كل واحد كأسا وافية ثم في النهاية تتساوى الكؤوس برغم اختلاف المناظر وتباين الدرجات والهيئات.

وليس اختلاف نفوسنا هو اختلاف سعادة وشقاء وانما اختلاف مواقف.. فهناك نفس تعلو على شقائها وتتجاوزه وترى فيه الحكمة والعبرة وتلك نفوس مستنيرة ترى العدل والجمال في كل شيء وتحب الخالق في كل أفعاله.. وهناك نفوس تمضغ شقاءها وتجتره وتحوله الى حقد اسود وحسد أكال.. وتلك هي النفوس المظلمة المحجوبة الكافرة بخالقها المتمردة على أفعاله.

وكل نفس تمهد بموقفها لمصيرها النهائي في العالم الآخر.. حيث يكون الشقاء الحقيقي.. أو السعادة الحقيقية.. فأهل الرضا الى النعيم وأهل الحقد الى الجحيم.

أما الدنيا فليس فيها نعيم ولا جحيم الا بحكم الظاهر فقط بينما في الحقيقة تتساوى الكؤوس التي يتجرعها الكل.. والكل في تعب.

انما الدنيا امتحان لابراز المواقف.. فما اختلفت النفوس الا بمواقفها وما تفاضلت الا بمواقفها.

وليس بالشقاء والنعيم اختلفت ولا بالحظوظ المتفاوتة تفاضلت ولا بما يبدو على الوجوه من ضحك وبكاء تنوعت.

فذلك هو المسرح الظاهر الخادع.

وتلك هي لبسة الديكور والثياب التنكرية التي يرتديها

الابطال حيث يبدو احدنا ملكا والآخر صعلوكا وحيث يتفاوت أمامنا المتخم والمحروم.

أما وراء الكواليس.

أما على مسرح القلوب.

أما في كوامن الاسرار وعلى مسرح الحق والحقيقة.. فلا يوجد ظالم ولا مظلوم ولا متخم ولا محروم.. وانما عدل مطلق واستحقاق نزيه يجري على سنن ثابتة لا تتخلف حيث يمد الله يد السلوى الخفية يحنو بها على المحروم وينير بها ضمائر العميان ويلاطف أهل المسكنة ويؤنس الايتام والمتوحدين في الخلوات ويعوض الصابرين حلاوة في قلوبهم.. ثم يميل بيد القبض والخفض فيطمس على بصائر المترفين ويوهن قلوب المتخمين ويؤرق عيون الظالمين ويرهل ابدان المسرفين.. وتلك هي الرياح الخفيفة المنذرة التي تهب من الجحيم والنسمات المبشرة التي تأتي من الجنة.. والمقدمات التي تسبق اليوم الموعود.. يوم تنكشف الاستار وتهتك الحجب وتفترق المصائر الى شقاء حق والى نعيم حق.. يوم لا تنفع معذرة.. ولا تجدي تذكره.

واهل الحكمة فى راحة لانهم ادركوا هذا بعقولهم واهل الله في راحة لانهم اسلموا الى الله في ثقة وقبلوا ما يجريه عليهم ورأوا في افعاله عدلا مطلقا دون ان يتعبوا عقولهم فاراحوا عقولهم أيضا فجمعوا لانفسهم بين الراحتين راحة القلب وراحة العقل فاثمرت الراحتان راحة ثالثة هي راحة البدن.. بينما شقى اصحاب العقول بمجادلاتهم.

أما أهل الغفلة وهم الأغلبية الغالبة فما زالوا يقتل بعضهم بعضا

من أجل اللقمة والمرأة والدرهم وفدان الارض ثم لا يجمعون شيئا الا مزيدا من الهموم وأحمالاً من الخطايا وظمأ لا يرتوي وجوعا لا يشبع.

فانظر من أي طائفة من هؤلاء انت.. واغلق عليك بابك وابك على خطيئتك.



عن الإنتحار

عن الإنتحار

من العجيب أن التقدم الذي جاء بمزيد من وسائل الترف والراحة وبمزيد من التسهيلات للانسان.. قد قابله الانسان بمزيد من الرفض والسخط والتبرم، فرأينا احصائيات الانتحار ترتفع مع مؤشرات التقدم في كل بلد.. كلما ازداد البلد مدنية ازداد عدد الذين يطلقون على أنفسهم الرصاص ويلقون بأنفسهم من النوافذ ويبتلعون السم ويشربون ماء النار.. هذا غير الإنتحار المستتر بالخمور والمخدرات والتدخين والمنومات والمسكنات والمنبهات.. وفي مقدمة هؤلاء المنتحرين طلائع فن وفكر وثقافة تعود الناس أن يأخذوا عنهم الحكمة والعلم والتوجيه.

ووصلت الموجة الى بلادنا فامتلأت أعمدة الصحف بأخبار ابتلاع ألسم واطلاق الرصاص والشنق والحرق.. وقال المختصون أن نسبة الزيادة الاحصائية تجاوزت العشرين في المائة.. وهو رقم كبير.

والازدياد متواصل سنة بعد سنة.

والسؤال.. لماذا. وما السر.

وما سبب الانتحار.

واذا تركنا التفاصيل جانبا وحاولنا تأصيل المشكلة وجدنا جميع أسباب الانتحار تنتهي الى سبب واحد.. أننا أمام انسان خابت توقعاته ولم يعد يجد في نفسه العزم أو الهمة أو الاستعداد للمصالحة مع الواقع الجديد أو الصبر على الواقع القديم.

انها لحظة نفاد طاقة ونفاد صبر ونفاد حيلة ونفاد عزم.

لحظة القاء سلاح.. يأس.. ما يلبث أن ينقلب الى اتهام وادانة للآخرين وللدنيا ثم عداوة للنفس وللآخرين وللدنيا تظل تتصاعد وتتفاقم حتى تتحول الى حرب من نوع مختلف يعلنها الواحد على نفسه ويشنها على باطنه وفي لحظة ذروة تلتقط يده السلاح لتقتلع المشكلة من جذورها.. ولتقتلع معها الاحساس المرير وذلك بطمس العين التي تبصر وقطع اللسان الذي يذوق وتحطيم الدماغ الذي يفكر وتدمير اليد التي تسعى والقدم الذي يمشي.

وهو نوع من الانفراد بالرأي والانفراد بالحل ومصادرة جميع الآراء الأخرى بل انكار أحقية كل وجود آخر غير الذات.

ولهذا كانت لحظة الانتحار تتضمن بالضرورة الكفر بالله وانكاره وانكار فضله واليأس من رحمته واتهامه في صنعته وفي عدله ورفض أياديه ورفض أحكامه ورفض تدخله.

فهي لحظة كبر وعلو وغطرسة واستبداد.

وليست لحظة ضعف وبؤس وانكسار.

وبدون هذا العلو والكبر والغطرسة لا يمكن ان يحدث الانتحار ابدا.

فالانسان لا ينتحر الا في لحظة دكتاتورية مطلقة وتعصب أعمى لا يرى فيه الا نفسه..

فالانتحار في صميمه اعتزاز بالنفس وتأله ومنازعه لله في ربوبيته.

والمنتحر يختار نفسه ويصادر كل أنواع الوجود الآخر في لحظة غل مطلق.. في لحظة جحيم..

ولهذا يقول الله أن من يقتل نفسه يهوى الى جحيم أبدي لأنه قد اختار الغل وانتصر للغل وأخذ جانب الغل عند الاختيار النهائي للمصير.

والانفراد المطلق في الرأي عصبية وغل ونارية ابليسية.. والنفس المتكبرة الأمارة بالسوء هي نار محضة وظلمة..

وكل منا في داخله عدة إحتمالات لنفوس متعددة.. في داخل كل منا نفس أمارة ظلمانية توسوس له بالشر والشهوات.. ونفس لوامة نورانية تحضه على الخير ثم كل المراتب النفسية علوا وسفلا فوق وتحت هاتين المنزلتين.

وكل نفس في حالة تذبذب مستمر بين هذه المراتب صاعدة هابطة فهي حينا ترتفع الى آفاق ملهمة وحينا تهبط الى مهاو مظلمة شهوانية. ثم في النهاية تستقر.. فاذا استقرت فانها تستقر على حقيقتها وعلى منزلتها التي سوف تدوم لها الى الابد وسوف تبعث عليها..

فالنفس التي استقرت على الرفض والكبر والغطرسة والغل ثم اقتلعت أسنانها ولسانها وسمعها وبصرها وقطعت رقبتها في غل نهائي لا مراجعة فيه هي قد اختارت الجحيم بالفعل. بل انها هي ذاتها قبضة نار لا مكان لها الا في الجحيم.

« نارا وقودها الناس والحجارة ».

يقول ربنا ان هذه النفوس هي وقود النار وجمراتها ومصدر الطاقة النارية فيها، ومعنى هذا أنها أشد نارية من النار:

والمنتحر يتصور أنه سوف يتخلص من نفسه ولكن لا خلاص ولا مهرب لانسان من ذاته فهو لن يخرج بالانتحار الى راحة بل هو خارج من النار الصغرى الى النار الكبرى ومن النار الزمنية الى النار الأبدية.

ولنتجنب هذا المصير فاننا لا بد أن نتجنب المشكلة أصلا.

والمشكلة أصلا هي التعلق.. ومن ليس له تعلق بشيء لا ينتحر لشيء.

ولا يجوز عند المؤمنين تعلق الا بالله فهو وحده جامع الكمالات، الدائم الباقي الذي لا يتغير ولا تخيب عنده التوقعات ولا تضيع الآمال.

والله هو المحبوب وحده على وجه الأصالة وما نحب في الآخرين الا تجلياته وأنواره فجمال الوجوه من نوره وحنان القلوب من حنانه فنحن لا نملك من أنفسنا شيئاً الا بقدر ما يخلع علينا سيدنا ومولانا من أنواره وأسمائه.

فنحن لا نحب في بعضنا الا هو.

وهو حاضر لا يغيب ولا يهجر ولا يغدر ولا يغلق بابه في وجه لاجىء ولا يطرد من رحابه ملهوف.

فالواقفون عنـده مطمئنون راضون ناعمون لا يخطر لهم الانتحار على بال سعداء في جميع الاحوال.

انما ينتحر من تعلق بغيره.

الذي تعلق بليلاه ومعشوقته وظن أن جمالها منها فتعلق بها لذاتها تعلق عبادة وأصبح يتوقع منها ما يتوقع عبد من معبود وربط نفسه بها رباط مصير. ونسي أنها ناقصة كسائر الخلق ومحل للتغير والتبدل تتداول عليها الاحوال والتقلبات فتكره اليوم ما أحبته بالأمس وتزهد غدا فيما عشقته اليوم.

ونسي أن جمالها مستعار من خالقها وأنها اعارة لأجل وحينما ينتهي الأجل ستعود أقبح من القبح.

مثل هذا الرجل المحجوب الغافل اذا أفاق على الصحوة المريرة وفاجأه الغدر والتحول يشعر شعور من فقد كل رصيده وأفلس افلاس الموت ولم يبق له الا الانتحار.

ولو انه رأى جمالها من خالقها لأحب فيها ابداع صنعه الصانع ولكان من أهل التسبيح الذين يقولون عند رؤية كل زهرة.. الله.. فاذا رأوها في آخر النهار ذابلة.. قالوا حقا لا اله الا الله.. فحبهم لله وفي الله وروابطهم روابط مودة ومعروف لا مقصد لها ولا غرض ولا توقع.. فالغدر لا يفجأهم والهجر لا يصدمهم وشأنهم كما يقول المثل العامي.. اعمل الخير وارمه البحر.. يبسطون أيديهم بالمعونة

دون حساب لأي عائد ودون توقع لثمرة.

هؤلاء هم أهل السلامة دائماً.

وهم أهل الطمأنينة والسكينة لا تزلزلهم الزلازل ولا تحركهم النوازل.

هم أهل الطمأنينة اليوم.

وهم أهل الطمأنينة يوم الفزع الأكبر.. يوم لا تملك نفس لنفس شيئا، وبوم لا ينفع مال ولا بنون.

وهؤلاء لا يتعلقون الا بالله.

ولا يؤملون الا في الله.

ولا يتوقعون الا من الله.

وفي كتاب المواقف والمخاطبات لمحمد ابن عبد الجبار بن الحسن النفري يقول الله لعبده:

يا عبد اهدم ما بنيت بيدك قبل ان أهدمه بيدي.

يا عبد ان شهدت ان كل شيء لي لم ترتبط به.

يا عبد أن طلعت عليك شمس أو ترنم طائر فاستر وجهك فانك ان رأيت غيري عبدته وان رآك غيري عبدك.. ثم لا تنفعكما شفاعة الشافعين.

يا عبد اذا استندت الى شيء فقد اعتصمت به دوني وكتبتك مشركا.

بتلك الكلمات العالية الرفيعة المحلقة يصور ابن عبد الجبار عالم اليوم ويصور لون الشرك الذي نعيشه اليوم وكيف أصبح هذا

الشرك الخفي يداخل كل قلب ويخالط كل سلوك.. وكيف ان المشكلة هي بالدرجة الأولى مشكلة ايمان.. فكلما وضعت التكنولوجيا في يد الانسان قوة وثروة واستغناء ازداد بعدا وغرورا وكبر وتمردا وازداد تعلقا وارتباطا بالأصنام المادية التي خلقها وازداد خضوعا للملذات التي يسرها لنفسه.. وتصور أن قوته سوف تعصمه وعلمه سوف يحميه فأمعن في غروره.

وهل عصم الجبل ابن نوح من الطوفان؟!.

بل كان من المغرقين.

فلا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم.

ضع يدك في يد الله ولا تبرح وحسبك من علاقتك بالناس أن تبذل لهم مودتك ورحمتك على غير توقع لشيء.. فذلك هو قارب النجاة في عالم اليوم.. عالم الانتخار والمنتحرين.



والمحصول صفر

والمحصول صفر

لا يوجد وهم يبدو كانه حقيقة مثل الحب..

ولا حقيقة نتعامل معها وكأنها الوهم مثل الموت فليس هناك أمر مؤكد أكثر من الموت ومع ذلك لا نفكر أبدا بأننا سنموت، واذا حدث وفكرنا لا يتجاوز تفكيرنا وهما عابرا عبور النسيم.

والعكس في حالة الحب، فرغم أن الحب دائما أمر يزينه الخيال ويضخمه الوهم ويجسمه التصور وتنفخ فيه الشهوات ورغم أن الحب يشتعل وينطفىء ويسخن ويبرد وقد ينقلب في لحظة الى عداوة وقد يتحول الى جريمة ورغم أن أحوال الحب وتقلباته تشهد بأنه وهم كبير الا أننا نتعامل معه بالرهبة والتقديس والاحترام والخضوع الواجب للحقائق المطلقة.. ونظل على هذا الخلط والاختلاط حتى نفيق على الصدمة فنصحو ونستعيد رشدنا لأيام أو شهور أو سنوات ولكن لا نلبث أن نستسلم الى اغماء جديد.

وسبب الخلط والاختلاط هو دائما خطأ في النسبة.. فنحن دائما

ننسب الجمال الذي شاهدناه والحنان الذي تذوقناه الى صاحبته مع أنها ليست صاحبته ولا مالكته.. ولو امتلكت امرأة جمالها لدام لها.. ولكن الجمال لم يدم لأحد لأنه منحة واعارة من الله بأجل وميقات وهو قرض يسترده في حينه.. فصاحبه ومالكه هو الله وليس أي أمرأة.

وكذلك كل ما نعشق من حنان ومودة ورافة وحلم وكرم كلها خلع ومنح وأوصاف مستعارة من الودود الرؤوف الحليم الكريم.. وهو مالكها بالأصالة.. ونحن نملكها عنه بالقرض والاعارة.

ولكن العين التي تعشق الجمال تخطىء نسبته وملكيته فتظنه لصاحبته فتعشق صاحبته وتعبد صاحبته.

وهي تظل في هذا الوهم حتى تفيق على القبح يطل من تحت المساحيق والقسوة تظهر من وراء الاهداب فتصحو على الصدمة وتعاني وتتعذب وتندم وتعتبر وتتوب ثم تعود فتنسى وتنزلق الى وهم جديد..

وتلك هي الغفلة المستمرة التي نعيش فيها جميعا نفيق منها لحظات لنعود فنغرق في سباتها من جديد ولا يسلم من هذا البلاء الا نبي معصوم أو ولى كامل أو صوفى عارف يحفظه ربه ويسدل عليه كنفه.. فلا يرى حيثما تولى الا وجه الله.

«أينما تولوا فثم وجه الله»

فهو الجمال في كل جميل وهو الرأفة والحنان والكرم والحلم والمودة.. فتلك اسماؤه تتجلى في أواني الطين والخزف الشفافة التي

شفها الاحساس حتى أصبحت مثل الكريستال المضيء تماما كما يرى الفلكي نور القمر فيعرف أنه ليس نوره بل نور الشمس تجلى على وجهه.

وهكذا لا يرى هذا العارف اينما تولى الا وجه الله.. وهو دائم الهمس.. الله.. الله.. الله.. الله.. وهو ناظر دائما الى الظاهر وليس الى المظاهر.. ناظر الى الله الظاهر دائما في كل شيء.. لا يطرف.. متعلق بالمعاني وليس بالأواني.

وهو لهذا في حالة «جمعية» لا ينفرط ولا ينقسم ولا يتشتت ولا يضيع في التلفت وانما هو مجذوب الفؤاد الى الله على الدوام.

ولكن أمثال هذا الرجل قليل نادر مثل الماس واليورانيوم وامثاله لا يتجاوزون افرادا وآحادا بين الوف الملايين من الحشد الغافل المغمى عليه.

وهي غفلة عامة غالبة لا ينجى فيها علم ولا ثقافة ولا دكتوراه ولا ماجستير فتلك أبواب غرور تزيد من الغفلة.. فنرى العالم يضع علمه في خدمة هواه وعقله في خدمة عاطفته ومواهبه في خدمة شهواته فتصبح بلواه مضاعفة وصدمته قاصمة للظهر.

ويمضي العمر في سلسلة من الغفلات والاغماءات مجموعها في الختام صفر أو هي في الحقيقة حاصل طرح وليست حاصل جمع فمجموعها في النهاية بالسالب وليس بالموجب فحياة صاحبها الى نقصان يوما بعد يوم وسنة بعد سنة يخرج من وهم الى وهم ومن

خدعه الى خدعة حاله مثل حال الشارب من ماء مالح كلما ازداد شربا ازداد عطشا لا يحصل على سكينة ولا يبلغ اطمئنانا وانما هو هابط دوما من قلق الى قلق ومن تمزق الى تمزق ومن تشتت الى تشتت حتى تنتهي حياته بلا ثمرة وينتهي تحصيله بلا جدوى.

وتلك هي العقلية الاستمتاعية السائدة اليوم في عالم وثنى أصنامه اللذة والغلبة والهوى.. معبود كل واحد نفسه وكتابه رأيه ودستوره مصلحته.

والحال في الأمم المتخلفة والنامية أسوأ مما هو في الأمم المتقدمة.. وهي أمم مجموعها أحيانا «حاصل طرح أفرادها» وليس حاصل جمعهم لأنهم منفرطون منقسمون متباعدون كالجزر التائهة في البحر.. يضرب بعضهم بعضا.. وعزمهم مستهلك.. وقوتهم لا شيء..

يتحدثون عن الوحدة.

ولا وحده الا بالواحد.

هو وحدة الواحد لا اله الا هو.. الذي يخرج به كل واحد من شتات نفسه وتخرج به الأمم من تفرقها ويخرج به العالم من انقسامه.

والقضية بالدرجة الأولى قضية ايمان.

هي قضية رؤية..

كيف نرى العالم..

وكيف ننظر فيما حولنا..

وكيف نحب.

هل نستطيع أن نكون ذلك العارف الكامل الذي لا يرى في كل شيء الا الواحد.. ولا يبصر الا وجه ربه في كل محبوب.

هل يمكن أن نكون مصداق الآية:

«أينما تولوا فثم وجه الله»

وفي هذا الاطار نحب وفي هذا الاطار نكره.. فنبذل المروءة والمعروف والمودة للجميع ولا يكون لنا تعلق ولا يكون لنا حب الا لله وبالله وفي الله

ذلك هو الجهاد الصعب.

ولا اختيار..

ولا طريق آخر.

وكل واحد وعزمه.

وكل واحد وهمته..

وعبرة كل حياة بختامها..

فلنسارع الى المجاهدة ولنشمر السواعد حتى لا يكون محصول حياتنا صفرا وحتى لا يمضي بنا كل يوم الى نقصان وحتى لا يصبح كل يوم من أيامنا مطروحا من الذي قبله.

انما خلق الله الغواية لامتحان القلوب... وليعرف الكبار أنفسهم وليعرف الصغار أنفسهم من البداية..

وفي كتاب المواقف والمخاطبات للصوفى العارف محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفرى يقول الله لعبده.

«خلقتك لي.. لجوارى.. لتكون موضع نظري ومحل عنايتي

وبنيت حولك سدا من كل جانب غيرة عليك.

« ثم أردت أن أمتحنك ففتحت لك في السد ابوابا بعدد ما خلقت وبعدد ما أبديت من جواذب الأغراء.

« وخارج كل باب زرعت لك شجرة وعين ماء باردة وأظمأتك وحلفت بآلائي ما انصرفت عني خارجا لتشرب الا ضيعتك فلا الى جواري عدت ولا على الارتواء حصلت.. فقد ضللت عني ونسيت أنى أنا الارتواء الوحيد والسكن الوحيد لك.. وأني أنا الله الحق خالق كل هذه الصور والممد لكل جميل بجماله.. وان كل شيء مني.

« يا عبد سترتك برحمتي وحجبتك عن كل هذه الأبواب وحجبتك عن هذه الشواغل والصوارف فرأيتك تحاول أن تخرق الحجاب لتعاود ضعفك فلا تفعل فتعيش ذليل الأشياء سجين العطش الأبدي.

« يا عبد لن تعرفني حتى تراني أوتى الدنيا أرغد وأهنا ما عرفت من الدنيا لعبد عصي..

فترضى بما حرمتك وتعلم أنى ما حرمتك الا من غضبي واعراضي.

« يا عبد ميعاد ما بينك وبين أهل الدنيا أن تزول الدنيا فترى أين أنت وأين أهل الدنيا ».

وتلك كلمات الصوفى العارف محمد ابن عبد الجبار بن الحسن النفرى.. صاحب أحلى الكلام.. والجالس على أعلى ذروة للتأمل بلغها انسان.

أراد أن يرحمها

أراد أن يرحمها

هي صاحبة مال وجمال ودلال.

في اناملها الرقيقة المرصعة من خواتم الماس والزمرد ما يكفي لبناء جامعة.

وعلى كتفيها معطف أنيق من فراء الفيزون النادر يكفي للانفاق على مستشفى.

وفي جراج بابا ثلاث عربات مرسيدس أمد الله في عمره وهو لا يرد لها طلبا.. وكلما رفض لها عريسا زادها في أصابعها خاتما.

وهي بعد أن امتلكت الدنيا لا تعرف ماذا تريد بالضبط.

وهي وان كانت لا تعرف ماذا تريد فانها تعرف تماما ماذا ترفض.

وهي ترفض كل ما يطرق عليها الباب.

حتى الطقس ترفضه.. فهو دائما حار أكثر من اللازم أو بارد أكثر من اللازم.. أو غائم أكثر من اللازم أو صحو أكثر من اللازم أو رطب أكثر من اللازم.

كما أن الطعام دسم أكثر من اللازم أو مملح أكثر من اللازم أو مسكر أكثر من اللازم أو ساخن أكثر من اللازم أو بارد أكثر من اللازم.

ولا بد أن ترى في كل شيء عيبا.

نوع من الدلع وسوء التربية.

عقدة الترف والوفرة.

وأف من هذا.

وأف من ذاك.

بردانة.. حرانة.. متضايقة.. قلقانة.. زهقانة... يرن تليفونها كل ثلاث دقائق

تبكي بلا سبب.

من الضجر احيانا..

أو من عبء حرية لا تعرف فيما تنفقها ولا كيف تنفقها.

أو من أثقال ثروة لا تعرف كيف تبددها.

أو من وطأة زمن لا معقول يجرجر وراءه العقم واللاجدوى.. والعبث الفارغ.

رأيتها تدور كالفراشة حول غرفة نوم في معرض موبيليا.. وتحملق في الاثاث المترف بعيون نائمة على السرير بطاقة بالثمن ٢٦ ألف جنيه.

ومن خلال أهدابها المطلية بالماسكارا تتأمل وسائد ريش النعام والدولاب المكسو بالشاموا والازرار الالكترونية في متناول اليد

التي تطفىء وتدير وتغير قنوات التليفزيون المثبت في أقصى السرير وتشغل الستريو والبيك آب والكاسيت.

وسمعتها تمط شفتيها وتهمس في نبرة لامبالية .. موش بطال.

لا شك أنها سوف تحدث صاحبها في التليفون بعد دقائق في شأن هذه الغرفة.

ولا شك بعد ذلك أنها سوف تنسى الموضوع

ثم أنها لن تفاجأ كثيرا حينما تطرق بابها عربة الاثاث تحمل اليها غرفة النوم الانيقة.

ولا شك أنها سوف تتمدد عليها كقطة. ولا شك أنها سوف تتثاءب في ملل بعد دقائق.. ثم ما تلبث أن تفقد الشعور بجمالها وطرافتها.

فانها كالعادة.. كل شيء تملكه ما تلبث أن تزهده.

ثم يعود كابوس الملل والضجر.. والزمن الثقيل الذي يجرجر قطار اللاجدوى يضغط على أعصابها.

لا تحتقروها يا سادة

ولكن أشفقوا عليها.

فان الله لم يحتقر شيئا حين خلقه.

ولو أنه احتقر شأنها لما خلقها من البداية، ولكن كل ما في الامر.. أنها امرأة مدللة لم تجد الاب الذي يؤدبها ولا الام التي تنهرها ولا الدنيا التي تقهرها.

ولكن الله لا يهمل أحدا..

وقد كتب على نفسه في أزله الرحمة للجميع.

وقال عن نفسه أنه الرب لا رب سواه.. وقد اقتضت رحمته أن يقسو أحيانا على بعض خلقه ليصلحهم..

فانه لا يرضى أن تكون لنا عيون ولا نبصر وتكون لنا آذان ولا نسمع.

وقد شق اللحم ليفتح عيون الاجنة في الارحام كما شق الرؤوس ليفتح مجاري الاذان.

وقد شاء ربنا عناية منه بهذه المرأة ان يرحمها.

فصحت الجميلة ذات صباح لتكتشف انها مسلوبة نعمة البصر.

انطبقت الظلمة على عينيها تماما فلم تعد تبصر شيئا.

وصرخت وبكت وارتعدت رعبا.

واجتمع على رأس فراشها طب الامريكان والانجليز والفرنسيين والاسبان.

وتداول علماء الشرق والغرب وانفضوا وهم يقلبون الاكف يأسا وعجزا.

ولا شفاء..
ولا حل..
ولا أمل في حل.

وفي الظلمة المطبقة المطلقة.. كانت تتحسس وجه حبيبها وتبكي في حرقة وتهمس.

أريد أن يرتد الى بصرى لأرى وجهك.

هل تصدق أني لم أر وجهك.. حينما كانت لي عينان وحينما كان لي بصر.. لم أكن أراك.

لم أكن أرى سوى رغباتي.

لم أكن أشعر الا بنفسي.

لم أكن أرى أحدا.

كان العالم كله مجموعة من المرايا لا أرى فيها الا وجهي أنا.. وجمالي أنا.. ورغباتي أنا..

اليوم فقط أحاول أن أستشف ملامحك بأناملي وأحاول أن أتعرف عليك.. وأحاول أن أقترب منك.

يا حبيبي كم أتمنى أن أراك.. وأن أعاشر وجهك بعيني.

وبكت وغسلت يديه بدموعها.

صدقوها يا سادة.

فهذه أول مرة تطلب شيئا بحق وتتمنى شيئا بحق.. وتشعر على وجه اليقين أن هناك شيئا يسعدها.

صدقوها... وأسألوا لها الشفاء.

فاليوم ولدت انسانيتها.. بفعل من أفعال الرحمة الالهية.. وبسر من اسرار الله الذي يخفى رحمة في عذابه.

أهل النار

أهل النار

الغضب.. الحقد.. الحسد.. الغل.. الشهوة.. كلها نار.. كلها تعتمل في النفس اعتمال النار وتأكل فيها كما تأكل النار في الحطب.

وجهادالنفس هدفه محاصرة هذه النار ومغالبتها والتحكم فيها وتخليص القلب منها.

ومن مات وفي نفسه شهوة لم يغلبها فقد مات وللنار فيه نصيب.. ففي الآخرة تنهتك الأسرار وتنكشف الاستار وتظهر الخبايا وتفتضح الحنايا وتبدو النفوس على ما هي عليه في حقيقتها ان كانت نورا فنور وان كانت نارا فنار.

فان كانت نارا اتصلت بما يجانسها..الا ترى بقع الزيت الطافية في الماء تجتمع على بعضها وتنادي على بعضها وتلتحم ببعضها.. كما تلتحم حبات الزئبق معا وتتلاصق معا.

فكذلك النار حينما تطلع على الأفئدة فانها تلابس الافئدة النارية وتسرح فيها كما تسرح النار في الهشيم.

ومهلة العمر هي الفرصة الوحيدة لمعالجة هذه النار الداخلية واخمادها وذلك بالصلاة والذكر وجهاد النفس ومعاناة الخطأ والاكتواء بعواقبه واكتساب العبرة والخبرة والخروج بنور الحكمة من نار الألم.

فمن عاش عمره المديد ولم يزدد خبرة ولم يكتسب حكمة ولم يجاهد نقصا وخرج من الدنيا بلا توبة وهو ما زال مغلوبا بشهواته منقادا لناره فهو الى النار ذاهب.. فهو والنار كلاهما من معدن واحد وهو في النار منذ الازل وهو فيها دنيا وآخرة بحكم المشاكلة والمجانسة والنار حقيقته.. وهو بضعة منها.. انما أطفأ الله ناره لبرهة قصيرة من العمر حينما خلقه وألقى عليه الماء والتراب وسواه طينا.. فلما عاد ترابا.وخلع الله عنه ثوبه الطيني عادت حقيقته النارية وظهر البركان الذي كان مستورا خلف الضلوع.

وهذا حال أهل النار الذين هم أهلها (وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) (٣٧ فاطر).

ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون .. فانهم نار بحكم حقائقهم وسيعاودون الاجرام بحكم حقائقهم ولو أعاد الله خلقهم ألف مرة.

ولا يصح أن يلتبس الأمر على القارىء فيشتبه عليه ان الله جبرهم على الشر بحكم ما أودع فيهم من حقائق الحسد والحقد.. سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا فان الله يذكرهم في قرآنه فينسب حسدهم إلى أنفسهم فيقول:

« حسدا من عند أنفسهم ».

فالله يخلق القلب محايدا صالحا لأن يحتوي نية صاحبه ان كانت خيرا فخير وان كانت شرا فشر والله جعل النية حرة والمبادرة القلبية حرة تماما حتى الشيطان لا يستطيع ان يدخل القلب الا باذن صاحبه.. لم يجعل الله للشيطان سلطانا قاهرا على القلوب فقال له:

« عبادي ليس لك عليهم سلطان »..

ولهذا لا يستطيع الشيطان أن يستهوى الا الشيطانيين أمثاله الذين يستضيفونه مختارين في قلوبهم ويفتحون له آذانهم...

وحقائق النفوس ثابته للنفوس منذ الازل... وهي أسرارها المعلومة لله علما قديما لم يجبر الله نفسا على شر.

وكل نفس هي التي أسرت وكتمت وأخفت في طويتها هذه الشرور أو الخيرات.

(والله مخرج ما كنتم تكتمون) (٢٧ - البقرة).

لم يقل (خالق ما كنتم تكتمون).. بل قال مخرج ما كنتم تكتمون فهو ليس مسئولا عن حسد الحاسد وعن حقد الحاقد.. وانما هو مخرج ومظهر هذه الأشياء فقط يجريه علينا في الدنيا من اختبار وابتلاء وتقليب في الأحوال.. ولكنه لم يخلقها في نفوس أصحابها.

والأمر خطير...

ولو أدرك كل منا انه على شفا حفرة من النار الفعلية وان ناره

فيه أقرب اليه من أنفاسه لخر على ركبتيه ساجدا باكيا صارخا متوسلا .

ولأصبح من أهل الخوف والرجاء الذين يموتون كل يوم قبل ان يموتوا .

فان الله الذي خلق العالم بدقة مذهلة واحكام مدهش والذي خلق للالكترون المتناهى في الصغر مدارا لا يستطيع أن يتجاوزه .. فاذا اقتضى الأمر أن ينتقل من مدار الى مدار فانه لا يستطيع ان يقفز الى الخارج أو الى الداخل الا اذا أعطى أو أخذ شحنة مساوية لحركته .

الخالق الذي قدر هذا الضبط والربط في حركة الكترون متناه في الصغر لن يستطيع ان يفلت منه مجرم ولن يستطيع ان يمكر به ماكر وهو الذي وصف نفسه بأنهُ خير الماكرين .. وبأنه خالق كل شيء .. بيده مقاليد كل شيء .. العزيز الجبار المهيمن الذي ليس كمثله شيء .. السميع البصير اللطيف الخبير الذي لا تأخذه سنة ولا نوم .. الذي له الشفاعة جميعا .

(وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) (٢٦ - النجم).

(ما من شفيع الا من بعد اذنه) (٣ - يونس).

(مالكم من دونه من ولى ولا شفيع) (٤ - الجن). ذلكم الله .

فطوبى لمن أدركه الخوف .

وطوبى للذاكرين الموت ..

الباكين في ساعات الوحدة.

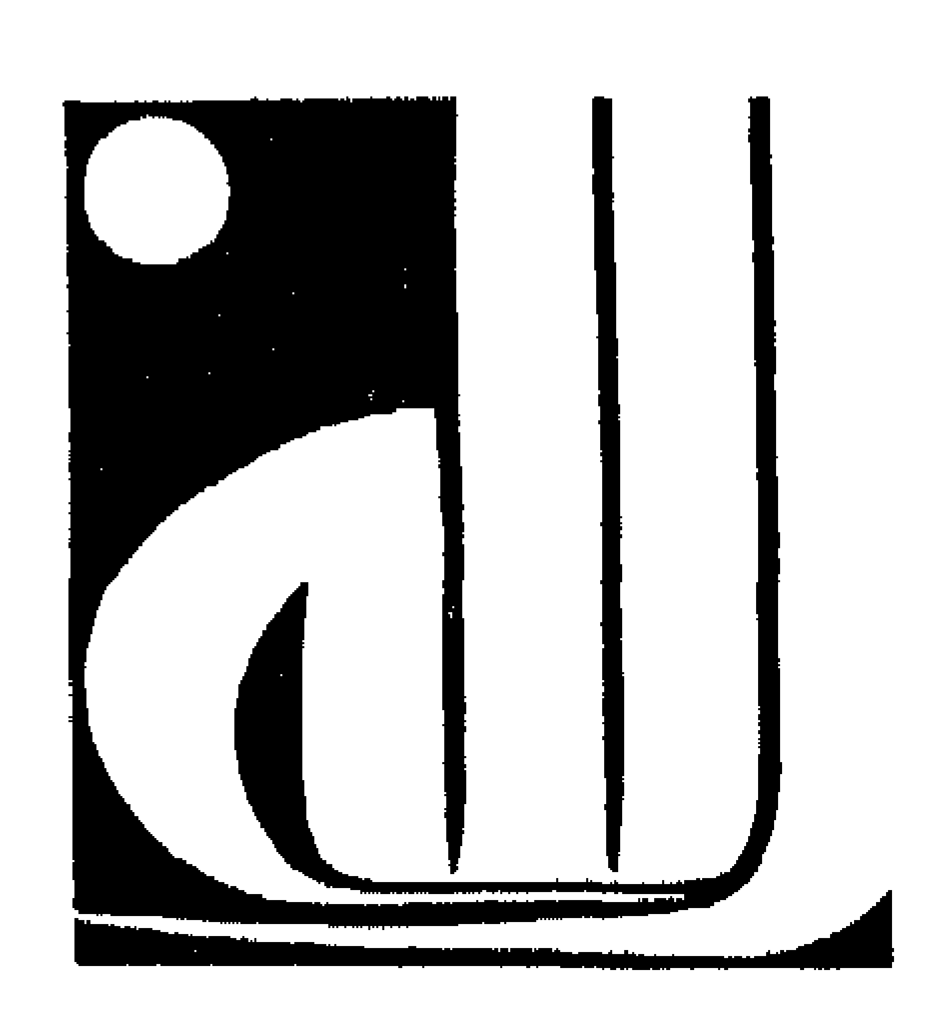
االمشفقين من يوم اللقاء.

الذين رأوا النار في نفوسهم قبل أن يروها رأى العين.

الذين استشفوا الحقائق واستبصروا الغيب ولمسوا الشواهد وأدركوا الآيات وأيقنوا قبل زمان الايقان.

أهل التسليم والخشوع لله.

اللهم اجعلنا منهم.



الشجرة

الشجرة

المرأة كالدنيا فيها تقلبات الفصول الأربعة.

تفيء اليها ذات يوم فتجد الظل والخضرة والعبير والثمر وتلجأ اليها في يوم آخر فتراها تعرت عن أوراقها وجفت فيها الحياة وتوقف العطاء لا ظل ولا زهر ولا ثمر.

تتداول عليها الاحوال تداول الليل والنهار والربيع والخريف والمطر والجفاف والجدب والنماء.

فان كنت عشقت الظل والخضرة والعبير والثمر فذلك ليس وجه المرأة فان للمرأة كل وجوه الدنيا وهي تشرق وتغرب مثل القمر وتطلع وتأفل مثل الشمس وتورق وتذبل مثل الورد.. فان كان ما تنورت به عيناها ذات مساء هو ما عشقت فما عشقت وجهها بل وجه الله الذي أشرق عليها وعليك ذات مساء.

وحيثما يشرق وجه الله تتنور المظاهر ويورق الشجر ويتفتح الزهر ويجود الثمر ويبتسم الولدان وتهفو قلوب العشاق الى من تعلقت به النعمة وتجلى فيه الجود.

وساعتها تخطىء أقدامنا العنوان وتخطىء السنتنا الاسم الذي تسبح له... وننسى بارىء النعمة وننسى انه لا أنا ولا أنت ولا هي لنا من الأمر شيء..

وانما كل ما حدث ان الله قال بلسان المظاهر.. ذات مساء في لحظة تجلى.. انا موجود.. انا بديع السماوات والأرض..

ننسى كل هذا ونتوقف عند اللحظة ونتجمد عند القد والخد والخصر والنهد.. وننسى مصدر الجود فينسانا صاحب الفضل ويشيح عنا بوجهه الكريم فتسقط الأوراق وتذبل الازهار ويصفر الاخضرار ويمتنع الاثمار ولا يبقى في الحضن الا عروق الخشب العجاف لا ماء فيها ولا رحمة ولا مودة ولا حنان.. فيذيقنا الله الهجر ونحن في القرب ويرينا خيبة الأمل ونحن في ذروة العمل ويختم لنا بالخذلان ونحن في غفلة الهيمان.

وتلك هي صدمة العشاق التي أفاض فيها الشعراء وأطالوا وهي في صميمها لفتة رحمة من الله يوقظ بها الذين أخلدوا الى الأرض واتبعوا الأهواء ونسوا المعشوق والمحبوب وصاحب الفضل.. والاصل كل الاصل... الاسم الجامع لكل الكمالات الذي كان عين النعيم وعين اللحظة التي أشبهت الخلد وشاكلت الفردوس.

وذلك هو الأكل من الشجرة..

ثم الاهباط بعد الاكل من الشجرة.. والنزول من سماوات المعرفة الرحيبة الى سجون اللذات وزنزانة اللحظات.

تلك هي القصة التي تتكرر كل يوم منذ آدم وحواء وكلما اجتمع ابن لآدم وبنت لحواء.

تتكرر الخيبة ويتكرر الخذلان

ولا يعتبر عاقل ولا جاهل.

والذين أحبوا أو صدموا يعودون الى حب جديد والى خيبة امل جديدة ولا يشبع أهل الأمل من خيبة الامل.

وكل مرة تزداد الغواشى على الحس ويضيق مجال الرؤية وتضيق الزنزانة على صاحبها ويغرق أهل الصبابة في بحر الصبابة.

ولا ينجو من البحر الا من عصم ربك.

انما هو بحر الظمأ الذي يجرى بين ذراعي المرأة كلما شرب منه الشارب ازداد ظمأ وكلما عب منه عبا احترق احتراقا.. يظن انه يرتوى ويبترد.. فلا يبترد أبدا ولا يرتوي أبدا.. ولا يشبع أبدا.. ولا يسكن أبدا.

انما عنده هو السكن.

وبين يديه القرار والاستقرار.

صدق أبو العتاهية في قوله:

طلبت المستقر بكل أرض

فلم أر لي بأرض مستقرا.

فلا مقر لنا في هذه الأرض ولا وطن لنا فيها وانما وطننا في بيت المعاد الذي جئنا منه عند شجرة الخلد حقا وليس عند شجرة الجوع والظمأ التي أكل منها آدم وما زلنا نحن اولاده نأكل منها فنزداد جوعا على جوع ولا نعرف شبعا ولا راحة.

انما الحياة بجوعها.

وشجرة الانوثة بربيعها وخريفها.
والزهور بتفتحها وذبولها.
والشمس بطلوعها وأفولها.
كلها رموز تتكلم بلسان الحال..
بأنها كلها قصاصات وعينات وعبوات صغيرة تشير الى عالم اخر فيه النماذج المثلى والكمالات والاصول لكل هذا الذي نرى أمامنا في صندوق الدنيا.. وكأنما يضع لنا الطاهي قطرة في ملعقة ويقول لنا.. ذوقوا.

والحكيم هو الذي يذوق ويقول.. الله.. ما أحلى الطهو... يذوق فقط ولا يفكر في أن يجلس ليأكل.. لأنه يعلم أن الدنيا مناسبة للتعرف.. وعينات للذواق.. وعبور سريع في نفق أرضي من أنفاق المترو فيه صور ومعروضات.. وكل حظ الراكب لفتة هنا ولفتة هناك.

أما الجلوس للأكل والشروع في مباشرة الحياة الحقة فذلك لن يكون الا بعد انتهاء الرحلة والخروج من النفق الأرضي الى السطح حيث نجد في انتظارنا نعيم الخلد والجنة التي عرضها السموات والارض والحياة الجديرة بأن نحياها حقا.. حيث أرض الكمالات وعالم المثل.. وذلك حظ من اتقى وفهم وعرف.. وكان بينه وبين الله عمار وصلة وعهد.

أما من قطع حبل الاتصال وعاش حياة الانفصال ولم يعرف لذة الوصال وانشغل عن الحقيقة بعالم الاوهام وتعلقت همته بالصغار. فذلك حظه البقاء في النفق المظلم ونصيبه الابعاد

والاهباط من نفق مظلم الى نفق آخر أشد اظلاما ولا نهاية.. فليس للبعد نهاية كما أنه ليس للقرب نهاية.. وليس لنعيم الله حدود كما أنه ليس لعذابه حدود.

ومن يتلفت حوله في الدنيا ويتأمل عجائب صنعة الله وغرائب آياته يمكن ان يتصوركم يمكن ان يكون مذهلا مدهشا ذلك العالم الكامل عالم الملكوت الذي صنعه نفس الصانع ووعد به احباءه.

ان عظمة الصنعة من عظمة الصانع.
وليس أعظم من الله.
فكذلك نعيمه وكذلك عذابه.

وأهل القلوب لا تجف لهم دموع من تصور يوم الجمع.. وساعة المصير.

وهم الباكون الراجفون الضارعون الداعون الراكعون الساجدون في هذا السامر من الولائم الكاذبة على مائدة الدنيا حيث يعلم كل من يأكل أنه سوف يموت.. ومع ذلك يقتل الغافلون بعضهم بعضا على اللقمة ويتنازعون على شربة الماء.

أولئك هم الصارخون في الخلوات.
الهى.. ارزقنا خوفك..
ضع الموت بين أعيننا.

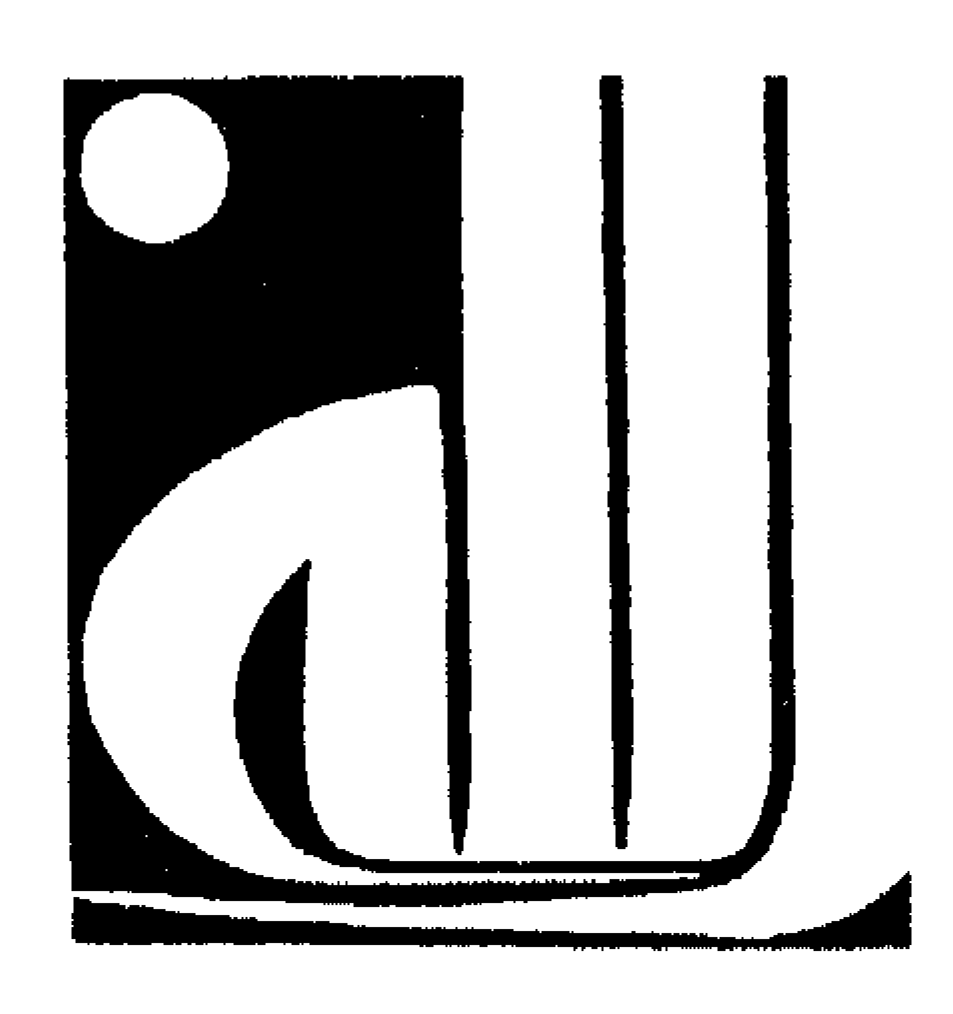
فلا شيء يستحق البكاء سوى الحرمان منك ولا حزن بحق الآ الحزن عليك.. باطل الاباطيل وقبض الريح كل شيء الا وجهك.
انت الحق.

وأنت ما نري من جمال حيثما تطلعت عين أو استمعت اذن أو حلق خيال.

لا اله الا انت.

سبحانك.

انى كنت من الظالمين.



مسرح العرائس

مسرح العرائس

اشعر بالندم يا الهي حتى نخاع العظم من اني ذكرت سوا ك بالأمس وهتفت بغير اسمك وطافت بخاطري كلمات غير كلماتك.

سمحت لنفسي أن أكون مرآة للسراب ومستعمرة للأشباح.

جهلت مقامي ونزلت عن رتبتي وترجلت عن فرسي الأصبلة لأركب توافه الأمور ولأمشي مع السوقة وأزحف بطني مع دود الأرض.

خدعني شيطاني واستدرجني الى مسرح العرائس الذي يديره والى تماثيل الطين والزجاج والحلى المزيفة.

استدرجني الى بيوت القماش وقصور الورق وقدمني الى ناس يبتسمون للمصلحة ويحبون للشهوة ويقتلون للطمع ويتزاوجون للتآمر.. رجال وجوههم ملساء مدهونة ونظراتهم خائنة ولمساتهم ثعبانية ونساء تغطيهن المساحيق فلا تبدو الوانهن الحقيقية بشرتهن مشدودة ووجوههن مكوية وخطواتهن حربائية وايديهن تتسلل الى القلوب يسرقن كل شيء حتى الحقائق.

عالم جذاب كذاب يضوع بالعطور ويبرق بالكلمات.. عالم لزج معسول تغوص فيه الأرجل كما يغوص النمل في العسل حتى يختنق بحلاوته ويموت بلزوجته.

والأصوات في هذا العالم كلها هامسة مبللة بالشهوة تتسلل الى ما تحت الجد وتخترق الضمائر وتأكل الايمان من الجذور.

تذكرتك يا رب وانا أمشي في هذا العالم فشعرت بالغربة والانفصال ولم أجد أحداً اكلمه ويكلمني وأفهمه ويفهمني.. نبذوني كلهم ورفضوني كما نبذتهم ورفضتهم.. وأحسست بنفسي وحيدا غريبا مطرودا.. ملقى على رصيف أبكي كطفل يتيتم بلا أم.

وسمعت في قلبي صراخا يناديك.

كانت كل خلية في بدني تتوب وتئوب وترجع وسمعتك تقول في حنان.. لبيك عبدي..

ورأيت يدك التي ليس كمثلها شيء تلتقطني وتخرجني من نفسي الى نفسك.

واختفى ديكور القماش والورق وذاب مسرح الخدع الضوئية.
وعاد اللاشيء الى اللاشيء.
وعدت أنا إليك.
لا إله إلا أنت
سبحانك
ولا موجود سواك
القرب منك يضيف
والبعد عنك يسلب

لانك وحدك الايجاب المطلق

وكل ما سواك سلب مطلق

علمت ذلك بالمكابدة وأدركته بالمعاناة وعرفته بالدم والعرق والدموع ومشوار الخطايا والذنوب وأنا أقع في الحفر واتعثر في الفخاخ.. وكلما وقعت في حفرة شعرت بيدك تخرجني بلطف وكلما اطبق على فخ رأيتك تفتح لي سبيلاً للنجاة.. وكلما وضعوني في الأغلال واحكموا على الوثاق شعرت بك في الوحدة والظلمة تفك عني اغلالي وتربت على كتفي في حنان والهامك يهمس في خاطري.. أما كفاك ما عانيت يا عبدي.

أما اتعظت.. أما أعتبرت.. أما جاء اليوم الذي تثبت فيه قدمك وتستقر خطاك على الطريق.

فاقول باكيا

سبحانك يا رب وهل هناك تثبيت إلا بك وهل هناك تمكين إلا بإذنك.

انت وحدك الذي أصلحت الصالحين وثبت الثابتين ومكنت أهل التمكين.

تعطى لحكمه وتمنع لحكمه ولا تسأل عما تفعل.

شفيعي اليك صدقى

وعذري اليك حبي للحق

وذريعتي الى عفوك رغبتي في الخير.

فمن خطيئاتي نبتت الحكمة كما تنمو ازهار الياسمين من الارض السبخة.

ومن دموع ندمي علمت الناس فصدقوني حينما كلمتهم لأنهم رأوا كلماتي مغموسة بدمي ومن عثراتي وسقطاتي اضأت مصباحا هاديا يجنب الناس العثرات.

وكل من عبر طريقي قلت له كلمة صدق ودللته على السلامة.

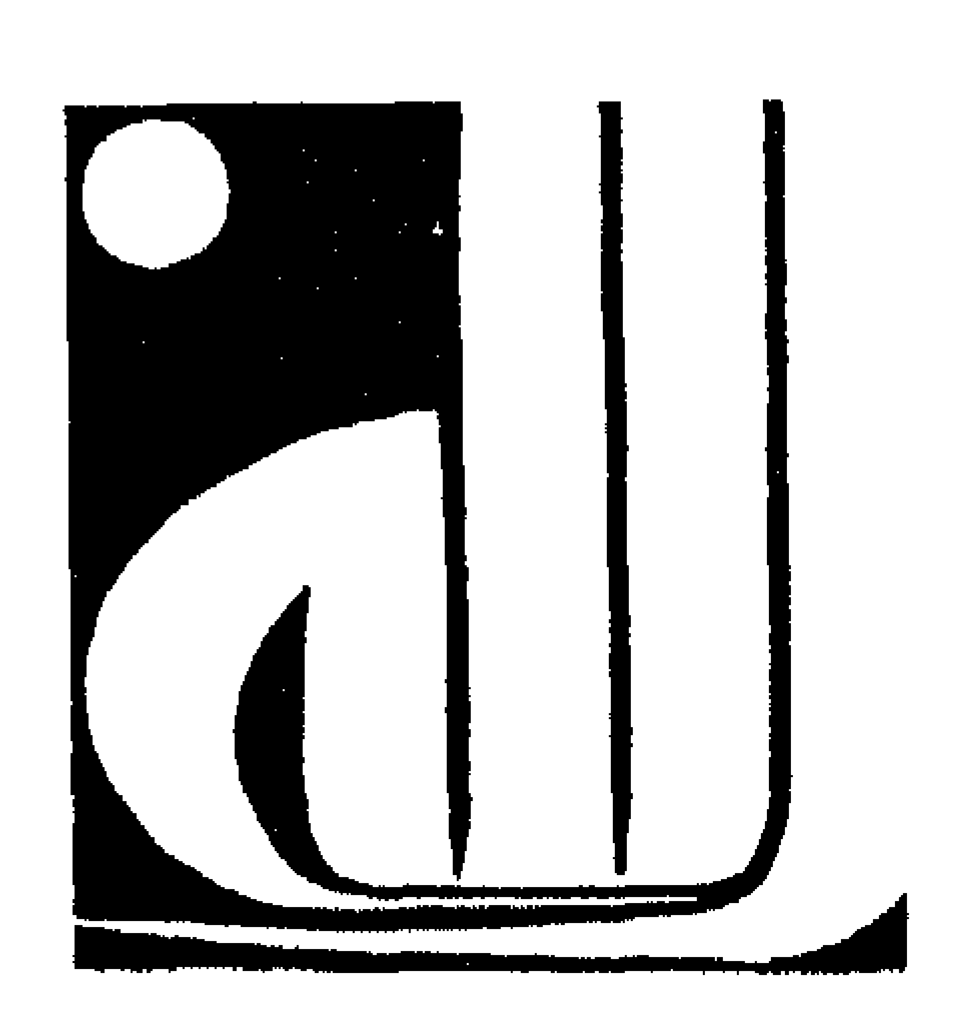
رب ما أتيت الذنوب جرأة مني عليك ولا تطاولا على أمرك وأنما ضعفا وقصوراً حينما غلبني ترابي وغلبتني طينتي وغشيتني ظلمتي.

إنما أتيت ما سبق في علمك وما سطرته في كتابك وما قضى به عدلك.

رب لا أشكو ولكن أرجو.

أرجو رحمتك التي وسعت كل شيء. ان تسعني.

وأنت الذي وسع كرسيك السموات والأرض.



لا شيء يساوي الحرية

لا شيء يساوي الحرية

حينما رفع النبي يوسف أكف الدعاء لربه مستنجدا من غواية النسوة قائلا:

« رب السجن أحب الى مما يدعونني اليه »

كان يطلب حرية ولم يكن يطلب سجنا.

والمسألة نسبية.. فما يحصل عليه من حرية في زنزانة وهو مقيد اليدين والقدمين أكثر بكثير مما يتبقى له من حرية ساعة شهوة.

فحينما تجمح الشهوة لا تبقى لصاحبها حرية فهو لا يرى الا على مرمى ساقين ولا يسمع الا على مرمى شفتين ولا يعي حكمة ولا يبصر عاقبة ولا يحفظ عهدا ولا يرعى واجبا.. وهو أعمى أصم مقيد الذراعين والساقين الى حركة آلية وفعل لا معقول كل هرموناته ودمه وفكره وحسه ومواهبه في خدمة هذه اللحظة اللامعقولة من الاشباع والفناء الذي يشبه السقوط في هوة اللاشيء.. وذلك هو منتهى السجن ومنتهى استنفاد الطاقة واستفراغ القوة وأنهاك العزم وتبديد الهمة.. ثم لا يكون بعد ذلك الا الخمول والبلادة والاسترخاء والرغبة في النوم والرغبة في عدم

التفكير في شيء.

تلك الزوبعة التي تعصف بالدم وتطيش بالعقل وتذيب المفاصل وتأسر الجسد هي ذروة العبودية.

ولهذا قال النبي يوسف صارخا:

رب السجن أحب الى من هذا الخضوع لهؤلاء النسوة.. فالزنزانة ولا شك أرحب وأوسع من قبضة شهوة امرأة حينما تتسلل الى النخاع وتعتصر المخ وتحجب العينين وتسد الأذنين وتغلق منافذ القلب فلا يعود شيء في الكون يسمع الا لهاث أنفاسها.. فكأنما أصبحت هي المحراب والصنم والقبلة..ومائدة القرابين.

السجن.. السجن هنا منتهى الحرية بالنسبة لهذا القيد الشامل المطلق.. وهو أحب الف مرة لأي رجل في كمال وعقل النبي يوسف يريد أن يصعد ويحلق الى السموات فلا شيء يساوي الحرية أبدا.

وأي لذة وأي مقابل فوري مادي أو حسي لا يساوي عقلا طليقا وخيالا محلقا وفؤادا مرفرفا ووجدانا طائرا وفكرا مهاجرا وقلبا مسافرا واقداما ساعية لا تحد حركتها حدود.

نعم.. لا شيء يساوي الحرية.

وأحسن أستثمار للحرية ان تبذلها لوجه الله فتجعلها في خدمة الحق والعدل والخير.. فالعبودية للخالق تحررك من العبودية للخلق وتخلع الحاكمية عن كل الذين حكموك فلا يعود يحكمك أحد ولا يعود يحكمك شيء.. بل تصبح أنت بحكم الخلافة عن الله حاكما على الكل.. وتصبح لكلماتك ربانية على الجميع.. ويطيعك البر

والبحر والريح وتنقاد لك الشعوب ويستمع اليك التاريخ.

كيف تبلغ هذه الدرجة من الحرية؟

يقول سادتنا الاكابر:

منذ أن تفتح عينيك لتصحو حتى تغلقهما لتنام لا تعلق همتك بأمر من الأمور الدون.

لا تنام على غل ولا تصحو على شهوة ولا تسعى الى طمع ولا تسابق الى سلطة وانما اجعل همك واهتمامك في الخير والبر والحق والصدق، والمروءة والمعونة قاصداً وجه ربك على الدوام.

حاول أن يكون فعلك مطابقا لقولك وسلوكك مطابقا لدعوتك.. فاذا غلبتك بشريتك وهزمك هواك في لحظة.. لا تيأس وانما استنجد واستصرخ ربك،، وقل: الغوث يا رب.. يقل لك لبيك عبدي ويخرجك بيده من ظلمة نفسك الى نور حضرته.

فانك ان كنت أحد عمال الله في الارض وأحد سفرائه الى قلوب الناس.. فإنه سوف يرحمك اذا اخطأت ويغفر لك اذا أسات ويعيدك الى الطريق إذا انحرفت.. وسوف يرعاك ويتولاك لأنك من جنده وحاشيته وخاصته.

ولا تيأس مهما بلغت اوزارك ولا تقنط مهما بلغت خطاياك.. فما جعل الله التوبة الا للخطاة وما أرسل الأنبياء ألا للضالين وما جعل المغفرة الا للمذنبين وما سمى نفسه الغفار التواب العفو الكريم الا من اجل انك تخطىء فيغفر.

جدد استغفارك كل لحظة تجدد معرفتك وتجدد العهد بينك

وبين ربك وتصل ما انقطع بغفلتك.

واعلم ان الله لا يمل دعاء الداعين.. وأنه يحب السائلين الطالبين الضارعين الرافعي الأكف على بابه.. وانما يمقت الله المتكبر المستغنى المختال المعجب بنفسه الذي يظن أنه إستوفى الطاعة وبلغ غاية التقوى وقارب الكمال.. ذلك الذي يكلم الناس من عل ويصافحهم بأطراف الأنامل.

ثم بعد التوبة والاستغفار والتخلي عن الذنوب والتبرؤ من الحول والطول.. يأتي التحبب والتقرب والتخلق والتحقق.

حاول أن تتحلى بأخلاق سيدك.. فاذا كان هو الكريم الحليم الصبور الشكور العفو والغفور.. فحاول أن يكون لك من هذه الصفات نصيب.

فاذا غالبتك نفسك الأمارة.. اسجد وأبك وتضرع وتوسل.. وقل بين دموعك:

يا من عطفت على الطين ونفخت فيه من جمالك وكمالك.

يا من أخرجت النور من الظلمة.

يا من تكرمت على العدم.

أخرجني من كثافتي وحررني من طينتي وخلصني من ظلمتي وقوني على ضعفي وأعني على نفسي.. فلا أحد سواك يستطيع أن يفعل هذا.. أنت يا صانعي بيديك.

ثم يقول سادتنا الأكابر:

أن الجهاد يطول فلا تتعجل الثمر.. فكلما عظمت الأهداف طال الطريق.. فلا تبرح الباب.. وأطل السجود.. وأدم البكاء..

فانك لا تطلب نيشانا أو جائزة وأنما تطلب وجه صاحب العرش العظيم.

تطلب رب السموات.

تطلب العزيز الذي لا يرام.

وذلك مطلب لا يبلغه طالب الا بعد أن يبتلي ويمتحن ويتحقق أخلاصه.. ويشهد الملائكة منزلته ويرى الملأ الأعلى بينته.

فكيف يصحب الملائكة المقربين الا النفر الكرام الذين تخلقوا بأخلاقهم.

وكيف تصعد الى السماوات الا بعد أن تلقى بمتاعك الأرضي وأثقالك.. ثم تلقى بنفسك الحيوانية من حالق.. ثم تلقى بغرورك وأنانيتك وشهواتك وأطماعك.. وتتجرد من دواعي بشريتك.. وتعود كما خلقك الله نورا من نوره.

حينئذ تبلغ الحرية حقا.. وتشاكل الابرار والشهداء والقديسين والملائكة.. فتسمعهم ويسمعونك وتكلمهم ويكلمونك.

وذلك معراج يحتاج الى عمر بطوله والى زاد من التقوى والمحبة والطاعة وصبر على البلاء ولا يقدر على هذا الا آحاد.

ولهذا خلقت الجنة

ولهذا كانت الأكثرية ترتع في النار من الآن.



دعاء العبد الخطّاء

دعاء العبد الخطاء

إلهي..

أنك ترى نفسي ولا يراها سواك.

تراها كالبيت الكبير الذي تصدعت منه الجدران وتهاوت السقوف وأنكفأت الموائد..

بيتا مهجورا يتعاوى فيه الذئاب ويلهو فيه القردة وتغرد العصافير.

ساعة تتلألأ فيه الأنوار وتموج فيه أشعة القمر.

وساعة أخرى مظلماً مطموساً محطم المصابيح تسرح فيه العناكب.

مرة تحنو عليه يد الربيع فتتفتح الزهور على نوافذه وتصدح البلابل وتغزل الديدان الحرير وتفرز النحلات الطنانة العسل.

ومرة أخرى يأتي عليه الزلزال فلا يكاد يخلف جدارا قائما لولا ذلك الحبل الممدود الذي ينزل بالنجدة من سماوات رحمتك.

حبل لا اله الا أنت سبحانك.

أنت الفاعل سبحانك وأنت مجرى الاقدار والأحكام.. وأنت الذي أمتحنت وقويت وأضعفت وسترت وكشفت.. وما أنا الا السلب والعدم.. وكل ازدياد لي كان منك وكل وجود لي كان بفضلك وكل نور كان من نورك.. ما أنا الا العين والمحل وكل ما جرى على كان استحقاقي وكل ما أظهرت في كان بعدلك ورحمتك.. ما كان لي من الأمر شيء.

وهل لنا من الأمر شيء؟!.

مولاي.. يقولون أن أكبر الخطايا هي خطايا العارفين..ولكني أسألك يا رب أين العارف أو الجاهل الذي استطاع أن يسلم من الفتنة دون رحمة منك.. وأنت الذي سويت نفوسنا وخلقتها ووصفتها بأنها «أمارة بالسوء الا من رحم بك».

وأين من له الحول والقوة بدونك.. وهذا جبريل يقول لنبيك لا حول من معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتمكين الله.

وهل استعصم الذين استعصموا الا بعصمتك وهل تاب الذين تابوا الا بتوبتك.. وهل استغفروا الا بمغفرتك

الهي.. لقد تنفست أول ما تنفست بك ونطقت بك وسمعت بك وأبصرت بك ومشيت بك وأهتديت بك.. وضللت حينما ضللت عندما خرجت عن أمرك.

سألتك يا رب بعبوديتي أن ترفع عني غضبك..فها أنا ذا وقد خلعت عن نفسي كل الدعاوى وتبرأت من كل حول وطول ولبست ثوب الذل في رحاب قدرتك.

انك لن تضيعني وأنا عبدك.

لن تضيع عبدا ذل لربوبيتك وخشع لجلالك.

وكيف يضيع عبد عند مولى رحيم فكيف اذا كان هذا المولى هو أرحم الراحمين.

رب أجذبني اليك بحبلك الممدود لأخرج من ظلمتي الى نورك ومن عدميتي الى وجودك ومن تفرقي الى جمعيتك ومن هواني الى عزتك.. فأنت العزيز حقا الذي لن تضرك ذنوبي ولن تنفعك حسناتي.

ان كل ذنوبنا يا رب لن تنقص من ملكك.

وكل حسناتنا لن تزيد من سلطانك.

فأنت أنت المتعال على كل ما خلقت المستغنى عن كل ما صنعت.

وأنت القائل

هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي.

وأنت القائل على لسان نبيك:

«ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم».

فها أنا ذا أدعوك فلا أكف عن الدعاء.. فأنا المحتاج.

أنا المشكلة.. وأنا المسألة.

أنا العدم وأنت الوجود فلا تضيعني.

عاوني يا رب على أن أتخطى نفسي الى نفسي. أتخطى نفسي

الأمارة الطامعة في حيازة الدنيا الى نفسي الطامعة فيك في جوارك ورحمتك ونورك ووجهك.

لقد جربت حيازة كل شيء فما ازددت الا فقرا وكلما طاوعت رغائبي ازدادت جوعا والحاحا وتنوعا.

حينما طاوعت شهوتي الى المال ازددت بالغني طمعا وحرصا وحينما طاوعت شهوتي الى النساء ازددت بالاشباع عطشا وتطلعا الى التلوين والتغيير.. وكأنما أشرب من ماء مالح فازداد على الشرب ظمأ على ظمأ.

وما حسبته حرية كان عبودية وخضوعا للحيوان المختفي تحت جلدي ثم هبوطا الى درك الآلية المادية والى سجن الضرورات وظلمة الحشوة الطينية وغلظتها..

كنت أسقط وأنا أحسب أني أحلق وأرفرف.

وخدعني شيطاني حينما غلف هذه الرغبات بالشعر وزوقها بالخيال الكاذب وزينها بالعطور وزفها في أبهة الكلمات وبخور العواطف، ولكن صحوة الندم كانت توقظني المرة بعد المرة على اللا شيء والخواء.

إلهي.. لم تعد الدنيا ولا نفسي الطامعة في الدنيا ولا العلوم التي تسخر لي هذه الدنيا ولا الكلمات التي احتال بها على هذه الدنيا.. مرادي ولا بضاعتي.

وأنما أنت وحدك مرادي ومقصودي ومطلوبي فعاوني بك عليك وخلصني بك من سواك وطهرني بنورك من عبوديتي لغيرك فكل طلب لغيرك خسار.

أنت أنت وحدك.. وما ارتضى مشوار هذه الدنيا الا لدلالة هذا المشوار عليك وما يبهرني الجمال الا لصدوره عنك وما أقصد الخير ولا العدل ولا الحرية ولا الحق الا لأنها تجليات وأحكام أسمائك الحسنى يا من تسميت بأنك الحق.

ولكن تلك هجرة لا أقدر عليها بدونك ونظرة لا أقوى عليها بغير معونتك.. فعاوني وأشدد أزري.. فحسبي النية والتوجه والمبادرة فذلك جهد الفقير.. فليس أفقر مني.. وهل بعد العدم فقر.. وقد جئت الى الدنيا معدما وأخرج منها معدما وأجوزها معدما.. زادي منك وقوتي منك ورؤيتي منك ونوري منك.

واليوم جاءت الهجرة الكبرى التي أعبر فيها بحار الدنيا دون أن أبتل وأخوض نارها دون أن أحترق.. فكيف السبيل الى ذلك دون يدك مضمومة الى يدي.

وهل يدي الا من صنع يدك؟.. وهل يدي الا من يدك؟!.

وهل هناك الا يد واحدة؟.

لا اله الا أنت سبحانك أني كنت من الظاملين

سبحانك لا أرى لي يدا

سبحانك لا ارى سواك

لا اله الا الله

لا اله الا الله حقا وصدقا

وذاتك هي واحدة الحسن

الحسن كله منها

والحب كله لها

ويدك هي واحدة المشيئة

الفعل كله منها والقوة كلها بها وان تعددت الايدي في الظاهر وظن الظانون تعدد المشيئات.. وان تعدد المحبون وتعددت المحبوبات وظن كل واحد أنه يقبل يد محبوبته.. فما يقبل الكل الا يدك دون أن يدروا.. سبحانك لا سواك.. ما يركع الكل الا على بابك وما يلثم الكل الا أعتابك.. مؤمنون وكفرة.. وأن ظن الكافر أنه يلثم دينارا أو يقبل شفة أو خدا فانما هي أيادي رحمتك أو أيادي لعنتك هي ما يلثم ويقبل دون أن يدري.

وانما هي أسماء وأفعال وأوصاف

والمسمى واحد

والفاعل واحد

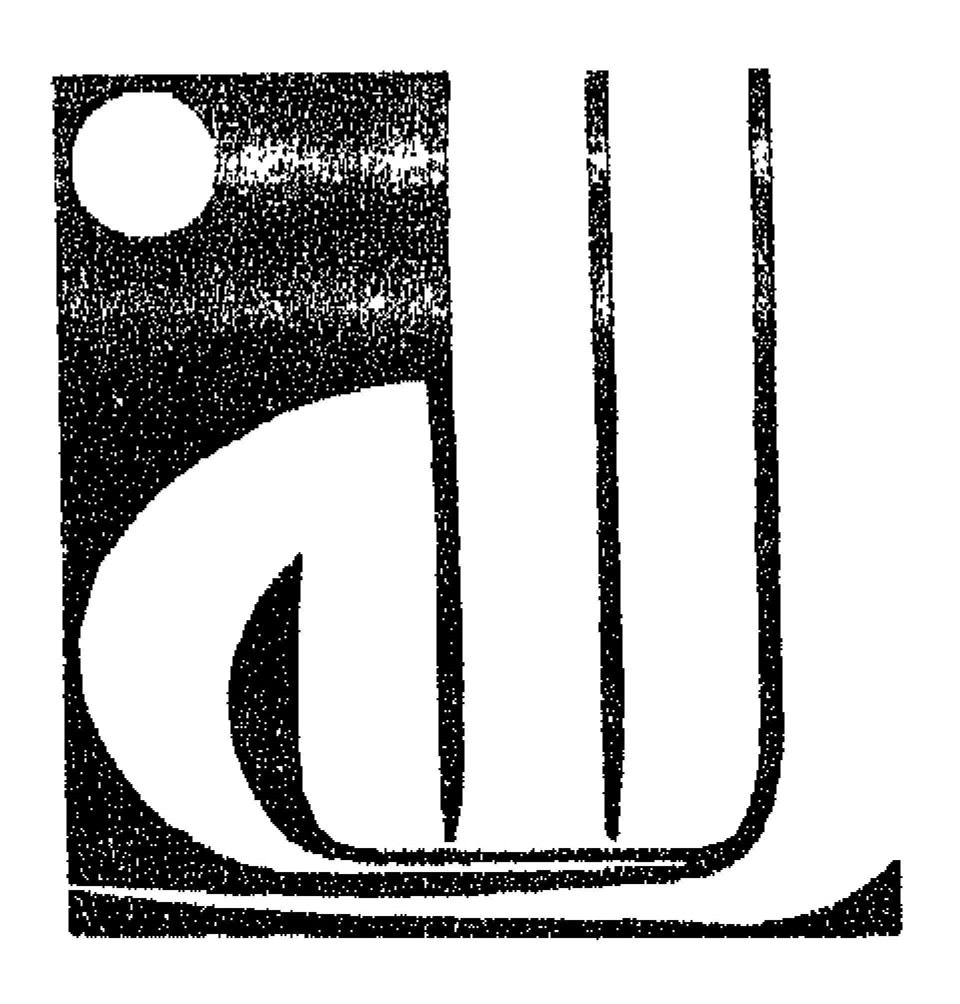
والموصوف واحد

لا اله الا هو

لا اله الا الله

الحمد له في الأول والآخر

رفعت الأقلام وطويت الصحف وانتهت الكلمات.



الفهرس

